

العبادلة

ويليه

ساعة الخبر

ويليهما

الدعاء المسمى محيي الرفات

وأسماء أصحاب الكهف

وحكم السبعة الأفلاك

ورسالة منازل القمر

وحرز النبي سليمان بن داود عليهما السلام

كلها تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد
ابن عربي الحاتمي
المتوفى ٦٣٨ هـ

اعتنى بها
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Etage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P. 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4325-5
90000>
9 782745 143259

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً

الحمد لله بحمد الحمد فإنه أوفى، وله المقام الأخلص الأصفى، وصلّى الله على محمد الحفي بما أقوله الأحفى، وسلّم تسليماً كثيراً من مقام السر الأخفى.

أما بعد: فهذا كتاب ذكرنا فيه ما نطقت به ألسنة العبادلة عند تحققهم بما حققهم به الحق في سرائرهم. وما ترجمته لقلوب العارفين المقربين من السنة الفهوانية الناطقة عن كلمة الحضرة. قبل تخلصه إلى ضمائرهم، فأفصحوا عما هو الأمر عليه غيباً وشهادة، وعلماً وعبادة.

والمترجم في هذا الكتاب ابن جامع عن أب مقيد. فالأمر بين أبوة وبنوة، عام لحال ولاية ورسالة ونبوة.

ولما كان عبد الله اسماً جامعاً لمراتب العلا، لذلك جعلناه ترجماناً. إذ كان الترجمان جامع ألسنة. ثم أضفناه إلى مقام عبد حصلت له مرتبة ما من مراتب الاسم الإلهي. وأضفناه إلى شخص كامل من نبي وولي.

فأوضحنا المبهم، وفصّلنا المتشابه من المحكم، وفصّلنا المجمل، وفتحنا المقفل، ورفعنا المسدل، فظهرت الأسرة ومن عليها عند رفع الحجاب، وظهر ما في الخزائن عند فتح الأقفال، وتبينت المراتب مع ذهاب الإجمال، والله تعالى يملي على مواقع الإلهام ما تسطره في الصحف والدفاتر الأنامل والأقلام.

ولا غلط ولا تصحيف ولا تحريف، ومهما ظهر من ذلك من شيء فهو راجع إلى عين الفهم لا إلى عين العلم. فالعلم المحفوظ المعصوم. والفهم المرجوم وقتاً المحروم.

والله يلحقنا دار العناية. ويحفظنا بعين الرعاية والكلاءة.

فأولهم رضي الله عنهم:

القسم الأول

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

وهو خمسة أجزاء

الجزء الأول

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد الله
وابن عبد البر
وابن عبد الحق
وابن عبد الرحمٰن
وابن عبد الباري
وابن عبد المهيمن
وابن عبد الخالق
وابن عبد ربه
وابن عبد الرحيم
وابن عبد الكافي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله

قال عبد الله بن عبد الله: أول ما ظهر من الحضرة الإلهية الاسم، وأول ما ظهر من الحروف الباء، وأول ما ظهر من الموجودات الجوهر، وأول ما انصبغ به النور. وأول عرض ظهر الحركة، وأول نعت أشهد بعد الوجود الجلال، وأول نطق ظهر منه أنا، وأول صفة قبل منه الحياء، وأول حال طرأ عليه الذوبان، وأول علم قبل علمه العلم بالله، فرأى نفسه في ذلك العلم.

وقال: العالم مأخوذ من العلامة، فكل حقيقة منه علامة تدل على حقيقة إلهية، إلى تلك الحقيقة مستندها إيجاداً، وإليها مردها ومرجعها عند انفصالها.

فإذا ذكر الله تعالى العالم فانظر إلى أي اسم أضافه، فتعرف من ذلك أي عالم أراد من العوالم.

وقال: إذا كنى الحق سبحانه وتعالى عن نفسه بالإفراد، وكنى عنك بالجمع فلوحدانيته، وكثرتك، من حيث عدم استغنائك، ووجود افتقارك.

وإذا كنى عن نفسه بالجمع مثل: «إنا، ونحن» فلحقائق الأسماء الإلهية، وإذا أفردك فإنما خاطب منك معنى ما، لأكلك، فأعرف من خاطب منك، وافتح سمعك إلى خطابه.

وقال: كثرة الطرق من أجل تعدد الحقائق، والمستقيم منها ما شرع، ومصيرها كلها إليه.

وقال: في طلب العون إثبات دعوى الكون، فيقولها العارف من حيث أنه مأمور بالقول، وهو يعرف من هو القائل، ومن هو العارف بمن هو القائل.

وقال: الجزاء على قدر الأعمال للعامة، من عين الملك، فهي أعواض، وللعارفين من عين المنة.

وقال: إذا ثبت أمر بين اسمين إلهيين فله وجهان، لكل اسم وجه يخالف الوجه الآخر. فإنه يطلب الاسم الذي قبله من حيث أنه ظهر من وجه ما فذلك مقام حق، ومقعد صدق. ومرتبة عظمى لما تقدّمها وتأخرها من الأسماء، فهي محفوظة عن الطوارق الحجابية.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الرحمٰن بن إلياس

قال ابن عبد الرحمٰن: من اتقى الله كوشف بحقائق البيان، فلا يقع له في الأشياء شك ولا ريب.

وقال: من علم أمراً ما فهو مصدق بأن ذلك مقر الأمر على ما علم على ما هو عليه في عينه، وليس بمؤمن شرعاً حتى يقربه لقول المخبر لا لدليله، ويقول ذلك على طريق القربة إلى الله سبحانه، وذلك التصديق هو الإيمان فما زاد عليه إلاَّ قوله بطريق القربة.

وقال: إقامة كل أمر حياة ذلك الأمر، وهو قيامك بواجب حقه، وأعلى حقوقه رؤية الحق فيه، وإذا رأيت الحق فيه سقط عنك الوجوب والحق، فكان إظهار الأمر إظهار موجود في العين من غير حكم، فهكذا هي أعمال المقربين، وقد وقفت على كلام بعضهم وقد قال: «إلزم الفرض واترك السنن».

ثم شرح فقال قولاً هذا معناه: رؤية الحق هي الفرض. ورؤية الكون بالحق هي السنن. فإذا رأيته به فلا فرض ولا سنن.

وقال ابن عبد الرحمٰن: المواهب كلها توهب. ولا سبيل إلى إمساكها. إلاَّ أنه لكل وهب أهل. فلا يتعدى بالواهب أهله. فمن هنا كان الوهب أمانة. ووضعها في غير أهل خيانة.

وما لا يوهب فذلك من خصائص الحق. وقد يكون الوهب بالعبارة، وقد يكون الوهب بإيضاح الطريق إذا كان لا ينقال.

فإذا علمت علم ذلك حصل لك ذوقاً ذلك الأمر، فهو وهب بالتبعية.

وقال: علمك باليقظة بعد النوم، علمك بالبعث بعد الموت. والبرزخ واحد. غير أن للجسم بالروح تعلقاً لا يكون بالموت. وتستيقظ على ما نمت عليه. كذلك تبعث على ما مت عليه فهو أمر مستقر.

وقال: العيان يشد الإيمان ولا يقابله. كما قال بعضهم. فإن بعض الناس جعل الإيمان لا يكون إلاً لمن ليس من أهل العيان، نعم، إذا وقع العيان على ما لم يسبق به الإيمان، فما ثم إيمان لا يرى له عيان.

وقال: القفل يكون عليه الختم والطبع، والطبع علامة في الختم. والختم هو الذي يرد عليه الفتح، وقفل كل شيء بحسب خزائنه، وكذلك الختم والطبع مشاكلان لذلك، ولكل ختم مفتاح على شكله، وعلى عدد الوجوه تتعدد الأقفال. والخواتم والأطباع منها حسية، ومنها معنوية، أي غير محسوسة.

وقال: من نعتك بشيء فقد قام به ذلك النعت، فهو أحق به. وقد تكون أنت على ذلك وقد لا تكون.

وكذلك من سئل عن شيء فعنده ذلك الشيء. وهو من أهله ولا بد، فتعين الجواب. ولذلك قال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضّحى: ١٠]. وصية لك وتنبيهاً على ذلك في وقت: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضّحى: ٧].

فلا تقل للسائل: لست من أهل ما سألت عنه، فإن ذلك غلط، والذي عليك أن تنظر مسألته، وللمسؤول عنه وجوه كثيرة، فتجيبه منها بالوجه الذي يليق به، فذلك الوجه هو الذي دعاه إلى أن يسألك من حيث لا يعلم، ويعلم صحة ذلك بقبول الجواب.

ومتى ما لم يقبله فأنت القاصر في معرفة ما له من الجواب في المسألة، فلا تلمه ولُم نفسك.

وقال: الشعور ينبىء عن الإجمال، والعلم ينبىء عن التفصيل، والسؤال أبداً يكون من حيث الشعور والإجمال، والجواب يكون من حيث العلم والتفصيل.

فمن شعر سأل، ومن علم أجاب، ومتى سأل العالم فليس سائلاً، بل هو مختبر، والخبرة تكون للعالم ولغيره.

وقال: العارف ينصبغ في كل لون، لأنه المتمكن في التلوين، ولكل مرآة وجه، ووجوه العارف غير متناهية.

وقال: ينعقد البيع على المحرم، إلاَّ أن صفقته خاسرة، ومهر البغي حرام وسماه مهراً، وانعقاده من جهة المشتري، لا من جهة البائع، وهو من باب إضاعة المال، فإنه ما يصل بيدي المشتري ما ينتفع به في الكونين.

ولذلك قلنا: مهر البغي حرام على البغي، فهو حرام على غيرها، فإذا بلغ الشيء محله كان حلالاً لمن كان حرم عليه تصدق على بريرة فأطعمت منه رسول الله ﷺ، فأكل منه على علم، والصدقة عليه حرام، فهو على بريرة صدقة، ومن بريرة هدية للنبي ﷺ.

وقال: اشتاقت الجنة إلى سلمان وعلي وعمار وبلال. هكذا ورد في الخبر النبوي، لمناسبة بينهم وبين الجنة لا تعلم إلاَّ من الجنة التي هي صاحبة الصفة الشوقية، لا كما زعم بعضهم أن ذلك راجع إلى معاني أسمائهم، لا إلى أشخاصهم.

ولا نشك أن ذلك راجع إلى أمرين:

الأمر الواحد: لأن حقائق أعمالهم تطلبها. فإذا أجابتهم لم تجد من يقبلها لغيبتهم عن ذلك بشهود مجرى تلك الأعمال ومنشئها، والغائب المحبوب يشتاق إليه.

والأمر الآخر: لا يمكن التعرف به حتى يقع لك التعريف به من جانب الحق سبحانه.

وقال: معرفة الحروف والأسماء من خصائص علوم الأنبياء عليهم السلام، من كونهم أولياء، ولهذا تقع المشاركة في العلم بهاتين للأولياء والأنبياء.

وقال: الملأ الأعلى والروحانيات العلا ليسوا بأنبياء ولا أولياء، ولذلك ما عرفوا الأسماء وإن كانوا مقربين، وتقربهم أداهم إلى الاعتراض، فهو اعتراض إدلال، بما أعطاهم الكشف الصحيح.

وكذلك كان، وما أرادوا بذلك فساداً حكمياً. وإنما رأوا وقوع الفساد والسفك من غير تعلق الحكم بالحمد والذم، فنطقوا بالكائن، والذي لم يعلموا به هو وجه الحكم.

وكانت النشأة عند اعتراضهم ممتزجة من نور الروح، وظلمة الجسم الطبيعي، ولم يكن فيها من نور العلم شيء، فلما علمه الأسماء بعد ذلك ـ والاعتراض قد حصل بقوله: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠] ـ خلق فيه من علم الأسماء بما أجمل فهي من علم الإنسان، فلما علمهم الإنسان كانت الأسماء أولياءه وهو ولي الله في هذا المقام خاصة.

وقال: سجدة الملائكة لموضع اللام في قوله: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ﴾ [البَقَرَة: ٣٤]، فأسرعوا بالسجود. ومن أجل موضع اللام وقع التقرير على إبليس في ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، لأن إبليس قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسرَاء: ٦١].

فما ذكر آدم في السجود تصريحاً ولا كناية إلاَّ واللام معه، فعلمت الملائكة ما جهل إبليس.

وقال: المحبوب لا يخاصم ولا يعارض، والمحب لا يكون محبوباً إلاَّ بالقيام بشروط دعواه، وإبليس في هذه المسألة عار من الصفتين، وقد شهد على نفسه، وبالذي منعه، فهو أعلم بنفسه وبالذي منعه من الذي احتج عنه وأقام عذره. ثم شهد عليه الله تعالى بالاستكبار والكفران.

وقال: إذا كان الحق سبحانه كل يوم هو في شأن فمحال على الأكوان الإقامة على نعت واحد زمانين، فالتلوين مع الأنفاس، والبينة على ذلك ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البَقَرَة: ٦١].

وقال: الله قبلة من لا يتقيد بالجهة من حيث حقيقته، وقبلة الحائر وإن كان ذا جهة، وإنما شرع التوجه إلى الجهة ليكون العبد بحكم الاضطرار، لا بحكم الاختيار، إذ هي حقيقة العبد، ولاجتماع الهم على أمر واحد.

وقال: في الرجوع إلى الله صلاة وهدى ورحمة، فالصلاة معرفة، والهدى مكاشفة، والرحمة لطف متعدد.

وقال: طلوع الشمس من المغرب آية على ترك الأعمال، ولا يعلم بذلك إلاَّ الرجال، فذلك أول وقت من أوقات الآخرة.

فإذا طلعت الشمس للعارفين من مغاربهم، وأشرقت على بصائرهم، فأبصرت الأعين من هو العامل بهم. فذهبت الأعمال من حيث هم، لا من حيث هي، فهم عمال الأعمال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفَال: ١٧].

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد ربه بن إبراهيم

قال ابن عبد ربه: المحكم ما يخلص لك أوله، والمتشابه ممتزج. فنسب الزيغ لمن تبع المتشابه، وهو الميل إلى الوجه الذي فيه التشابه. والفتنة الإخبار، فهو إنباء عن حقيقة، ولا يعرف علم المتشابه إلاَّ من العين ومن الحق.

وقال: شهادة المرء على نفسه إذا كان عدلاً مقبولاً عند الحاكم إذا كان عالماً. وإنما لم تقبل في ظاهر الشرع من حيث أن الحاكم ليس بعالم بصدق الشاهد.

ويقرب من هذا في الشرع في بعض المذاهب شهادة المرء لولده إذا كان عدلاً، ولا بد من شاهد آخر، أو يمين يقوم مقام الشاهد.

وقال: كل شهادة لفظية دعوى، فتحتاج إلى شهادة، فلذلك أقل الشهود اثنان أو يمين، ولما كان اليمين يقطع به الحق الحالف لنفسه لذلك صحت شهادة العدل لنفسه.

وقال: العلماء ورثة الأنبياء في العلم والابتلاء، فعلماء الرسوم ورثوهم فيما نقل عنهم، وعلماء الحقيقة ورثوهم في الأمر بالمعروف، فابتلوا كما ابتليت الأنبياء، وهو قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ٢١].

وقال له قائل: أين حجر الحق الفكر في ذاته؟ فقال: في قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ٢٨].

وقال: إذا استحسن الإنسان أمراً، وتعلقت الهمة بتحصيل مثله من جانب الحق فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه ذلك على أخص أوصاف ذلك الأمر وأعلاها، وإن لم يكن مقصوداً للسائل، وما يعرف هذا إلاَّ قليل من العالمين.

وقال: انتهاء محيط الدائرة إلى نقطة ابتدائها، فالخواتم أعيان السوابق وإن كان بينهما أمر فلا أثر له.

وقال: كل سالك على طريق فهو مائل عن غيره من الطرق، فالطرق كلها ميل، فلو كانت طريقاً واحدة لم يكن ميل.

وقال: العلماء كون العظمة الإلهية، والعرش كون الاستواء الرحماني، والسماء كون النزول الرباني، والقلب سعة الإلهية.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد البر بن يونس

قال ابن عبد البر: ما دام العبد بين السماء والأرض ينبغي له أن يستعيذ من عذاب جهنم.

وقال: لما كانت الرحمة سجية من الرحمٰن صحّ النسب الإلهي بينه وبين الرحماء.

وقال: إذا وقع الاطلاع عند التحام الزوجين كان النتاج ولا بد.

وقال: صدور الكثرة عن الواحد من كون الواحد له وجوه كثيرة.

وقال: إنما كان للرجل سهمان وللمرأة سهم واحد لما له من التحقق بالقيومية. ألا ترى المجاهد؟ للفارس سهمان، من أجل قيامه بالفرس، فذلك سهم الفرس لا سهمه، وللراجل سهم، وإن كان أكثر مشقة، وأقرب إلى التهلكة.

وقال: إذا تحقق العبد في سره ملكه لله سبحانه حالاً وجناناً فالعقوبة ساقطة عنه في الدار الآخرة وعلى قدر ما يتحقق به من الحرية تزول عنه الحماية الإلهية.

وقال: النكاح أفضل من الصبر عنه، والصبر أفضل من نكاح الأمة.

وقال: الدين الحنيفي هو المائل، والحاكم العادل هو المائل، والعدل والحنف: الميل. والميل مرض. وليس في الدين مرض.

والجائر: المائل. والجور: الميل. ولا شك أن هنا مرضاً ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٥] ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]. وكل طريق فالحق غايته. والباطل عدم. والعدم لا شيء. فلا يمال منهم ولا إليه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الباري بن عيسى

قال ابن عبد الباري؛ لا إله إلاّ الله، نفي وإثبات. والمنفي لا عين له. فعلى من وقع النفي؟ والمثبت موجود. فعلى من وقع الإثبات؟ والمنفي عين المُثْبِتْ عين المُثْبتْ. والمُثْبت عين النافي عين المنفي.

فهذه ست، وهي عين واحدة، فمن قالها حكماً فما عرف، ومن قالها بقوله الله فقد قالها وهو مؤمن.

وقال: إبراهيم وسليمان سألا رب العزة أن يلحقهما بما شهد به لابني الخالة عيسى ويحيى.

وقال: إنما كان الكامل أسود الوجه في الدنيا والآخرة لأنه دائم المشاهدة فيرى ظلمة الكون في نور مرآة الحق.

ومن دونه من السعداء بالعكس. فإنه أبيض الوجه في الدنيا والآخرة لأنه مرآة الحق. فتنتفي ظلمته بنور حقيقته. وهو قوله «كنت سمعه وبصره». وهو قرب النوافل. والأول قرب الفرائض.

وقال: من كان مشهده الذات جهل في الدنيا والآخرة. فلم ينفع ولم يشفع. فو في راحة الأبد.

وقال: الكامل من أعطى التصريف فتركه لمن أعطاه إياه. كأبي السعود وابن الشبل ببغداد.

وقال: المحمدي لا مقام له، ومن عين لنفسه مقاماً كان له «يا أهل يثرب لا مقام لكم».

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الرحيم بن موسى

قال: ابن عبد الرحيم: الصمداني من يستغني ولا يستغنى عنه.

وقال: الرباني لا يستغنى عنه ولا يستغني.

وقال: الفرق بين الحق وحكمه: إن الحق في جميع الأطراف. وحكم الحق في طرف واحد. ولهذا المجتهد مصيب ومخطىء ينظر إلى عبد الحكيم.

وقال: التنزيه لك. والتشبيه له. من بحر العلماء الذي بينك وبينه.

وقال: العلم نور، والنور حجاب، والحجاب عمى، والعمى حيرة، والحيرة وقفة، والوقفة هلاك.

وقال: الرجل متحرك ما لم يفتح عليه، فإذا فتح عليه سكن. وقد وقع التنبيه على ذلك بقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»(١).

وقال: الوقوت شرط في صحة أداة الصلاة المفروضة، فإذا ذهب الوقت ذهب لذهابه الفرض، وتعلن الإثم.

وقال: تكمل الفرائض من التطوع بما فيه من الفرض، سجود لسجود، وركوع لركوع، وقنوت لقنوت.

وقال: نائب الحق في العالم إذا خلعت عليه العظمة لم يرد له قول، وإذا لم يعط ذلك خوصم ورد قوله مواجهة.

وقال: تلاوة القرآن وسرد الحديث ليس من قول التالي ولا السارد، وكذلك كل حاك، فإن الله يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء: ١١٤]. أي مناجاة بعضهم لبعض «إلاَّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس»(٢).

ونحن نعلم أنه من تلا فقد أوتي خيراً كثيراً، ولكن ليس قوله.

وقال: المؤمن مأمور بالإيمان.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الحق

قال: رؤية المنافق للجنة، ولذته برؤيتها، وطمعه في دخولها، وتخيله أنها جزاء لعمله، بخلاف الكافر، ولذلك أيضاً ليس له في الدرك الأعلى من النار نصيب، وله في الدرك الأسفل، والكافر معذب في الأعلى والأسفل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل الجهاد والسير...، حديث رقم (٢٦٣١) [ج٣ ص١٠٢٥]. ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد الفتح حديث رقم [٨٦ ـ (١٨٦٤)] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة عم يتساءلون...، حديث رقم (٣٨٩٢) [ج٢ ص٥٥٧]. ورواه الطبراني في المعجم الكبير عن أم حبيبة، حديث رقم (٤٨٤).

وقال: جنات الأعمال يتفاضل فيها العمال بحسب ملازمة أعمالهم، ومن جهة المكان والزمان، والقول والحضور، واستيفاء الأركان. ومن هذا الباب قول النبي ﷺ: «بمَ سبقتني إلى الجنة»[١]؟

وقال: جنات الاختصاص من عين الجود والمنّة.

وقال: القصاص وإن كان سيئه من حيث إنه يسوء، لا من حيث الحكم، قولاً كان أو فعلاً.

وقال: الأجساد من عالم الخيال والتمثل، وأكثر ما يظهر لأهل هذا الطريق له مدخل في باب المكر الإلهي.

وقال: إذا كان الحق شاهداً فمن الحاكم؟ انظر.

وقال: كلمات الله موجوداته، ولذلك تنفد البحار قبل نفادها بالكتبة، فما وقع الشرف لعيسى على الموجودات من حيث أنه كلمة، لكن من حيث أنه ألقاها إلى مريم، وأنت ألقاك أبوك.

وقال: كون عيسى روحاً من حيث نسبته إلى من تمثل إلى أُمه بشراً سوياً.

وقال: المقرب من البشر رجل اتبعه الرسول ليتعلم مما عنده، وهو الذي يتولى الحق تعليمه.

وقال: العمال مستأجرون، فجميع الأعمال لها أعواض هي الأجرة، والعبادة ليست من الأعمال، فالعبادة لله، والعمل للعوض ولذلك قالت العارفة: «بئس العبيد أنتم عبيد الأجر، إنما أنا أعبده له».

فنطقت بالحقيقة حين جهلها من يزعم أنه من الرجال.

وقال: لو كان الإيمان يعطي بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن: إفعل كذا، وافعل كذا، وقد توجد المكارم ولا إيمان.

وقال: للمكارم آثار ترجع على صاحبها، في أي دار كان.

وقال: الإحسان والتقوى أخوان شقيقان لأم وأب.

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه، باب استحباب الصلاة عند الذنب...، حديث رقم (١٢٠٩) [ج٢ ص٢١٣] ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن بلالاً...، حديث رقم (٧٠٨٦) [ج٧ ص٥٦١].

وقال: الحق من الخلق بحسب أحوالهم، فهو مع الأحوال، لا معهم من ذواتهم، وفي مواطن هو مع الخلق من حيث صفته، لكن الاسم لا يفارق المسمى. وهنا علم شريف لمن يعرفه.

وقال: المحبوب مكرم منعم، وهو أفضل عند المحب من المحب له، فكرامة المحب للمحب بالمحبوب، لإيثاره وحبه وميله إليه دون غيره. وليس هذا المقام مثل ذلك في الرتبة بكل وجه.

وقال: المتقي صاحب دعوى، ولذلك يقبل منه عمله. والعارف صاحب تجريد، والأعمال تجري منه وهو عنها بمعزل، فليس له نسبة إلاَّ أنه محل لجريانها وظهور أعيانها.

فما زالت الأعمال عن عاملها، فلا توصف بالقبول ولا بالرد. ألا ترى المتقي يحشر إلى الرحمٰن، والعارف في الحضرة ما زال.

وقال: الذاكر جليس الذكر. لا جليس المذكور.

وقال: كل من نسب إلى الحق أمراً فذلك الأمر عائد عليه. وهو أحق به.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد المهيمن بن إسماعيل

قال: القرآن مهيمن على غيره من الكتب والصحف.

وقال: وإنما صحت الغيرية في الكتب المنزلة من حيث المحل. فهي واحدة العين، كثيرة في الكون.

وقال: المهدي لا يكون ظالماً لنفسه ولا لغيره.

وقال: الفرق في النصرة بين الفتح والأمر: إن الفتح به، والأمر منه.

وقال: عز المؤمن في ذل الكافر، وعز الكافر في ذل ظاهر المؤمن، والعارف ذله في عز ربه، وعزه في ذل الكون بعز ربه.

وقال: الواقف مع الكون محجوب عن العين.

وقال: إنما وقع الحسد والبغي في الجنس بين المثلين، لأن المثلين ضدان والضدان متنافران.

وقال: المحقق صيد الحق منه، والعالم صيد الحق من نفسه. والعارف صيد الحق من الجنة. والمقرب صيد الحق من الكونين. والزاهد صيد الحق من الدنيا.

وقال: حرم الله قلبك لأنه وسعه، وحلاله سائر ذاتك. وسرك المخاطب بالحرمة، فصيد الحلال على الحلال حلالان. وصيد الحرام على الحرام حرامان، وصيد الحلال على الحرام حرام. وصيد الحرام على الحلال حرام. فالحرمة في ثلاثة مواطن. والحلال موطن واحد.

وقال: الأحكام على الأسماء والأحوال. لا على الأعيان. فمن لا اسم له ولا حال فلا حكم عليه.

وقال: الإقبال على أمر الله يوجب الصلاح. والإعراض عنه يوجب الفساد، وكل يجازي بشاكلة فعله.

وقال: الإدارة متعلقها العدم. فلا يريد الله أحد.

وقال: الجود على صنوفه من الكرم والسخاء والإيثار لا يصح عند المحق. لأنه مؤدّي إلى أمانة.

وقال: له تنزيه، ولك تشبيه، ولك تنزيه، وله تشبيه، والتنزيه تشبيه، فرد ماله، وخذ مالك، فالكل له. وضرب الكل في الكل ضرب الشيء كضرب الواحد في نفسه والنتيجة الكل. وهو عين المضروب.

وقال: وقع التنزل من الحق للأولياء اتباعاً لما بقي فيهم من بشرية الطبع. ووقع العروج للأنبياء، لتخلصهم من ذلك. فهم أصفى، فهم أوصل.

وقال: الملائكة أفضل أصلاً في النشأة من الإنسان، والإنسان الذي هو آدم خاصة أفضل. فما توجه من المنشىء عليه فضله على الملك.

وقال: قال بعضهم: البينونة التي بين الحق والكون قدر السوط. وهي إشارة إلى صدورهم وإن كان من عين الجود، فخروجهم بالقهر، لأنهم في حال وجودهم له أتم عندهم من وجودهم لهم.

وقال له قائل: إن تاء البينونة قدر الأنملة، ولهذا ترجع إلى الاقتدار.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الكافي

قال ابن عبد الكافي: إن من أولياء الله من سترهم عن أعين الخلق في الدنيا والآخرة، فهم في قباب النور خلف حجاب الأنس، فلا يعرفون ولا يعرفون.

وقال: إذا زلّ الولي ولم يرجع من ساعته عوقب، وعقوبته بأن يحبب إليه إظهار الكرامات فيظهرها، والأولياء مأمورون بستر الكرامات على أنفسهم، إلاَّ إذا اقترن بها اقتضاء حق إلهي، ومع هذا فلا بد من الإذن.

وقال: تحدث الأولياء بما حققهم به الحق من الكرامات والمنازل والمخاطبات والأسرار، من باب التحدث بنعم الله والتشويق إلى الآية، وهو شكرها، لا من باب تزكيتهم، ولا تعريف بقدرهم، فهم أعف من أن يلجوا هذا الباب.

وقال: الطاعة للعبد، والمسارعة إليها للمحب، والتلذذ بها للعارف، والفناء عنها للمحقق.

وقال: إن لله عباداً يتحكمون عليه فيما يخطر لهم، فيجيبهم إلى ذلك، وذلك لمعرفتهم به حين خطر لهم ذلك، فهو كالمتحكم غيباً، وهم المتحكمون عيناً.

وقال: الأنبياء والأولياء خارجون عما تقتضيه عقولهم، بما يقتضيه لهم ربهم، فعقولهم معقولة عن التعرف، عقلها مطالعة عين القضاء فيها، فهم قائمون بجريان الحكم لا بهم.

وقال: الأحوال نتائج أذكار القلوب، والآثار نتائج الهمم.

وقال: في ذهاب الرسوم يتحقق المطلوب.

وقال: لولا الأسباب لظهرت الآثار من موجدها.

وقال: كل غيب لا يكون عدماً فهو غيب مقيد، وليس في الكون اليوم غيب إلاَّ وهو عدم من حيث عينه، لا من حيث اسمه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إدريس بن عبد الخالق

قال: عالم الأمر الوجه الذي يلي الحق في جميع الموجودات، وما لم يخلق عند سبب في بعض الموجودات، وعالم الخلق ما وجد عند الوسائط، ولذلك ينسب إليها.

وقال: كمال الإنسان في معرفته بنفسه بربه، وبربه بربه، فيعرف مم وجد، وفيم وجد، وما غايته، وما يراد منه في كل وقت، قبل وقوع المراد.

وقال: السلوك منه وإليه وفيه. فالسلوك لا يزال دنياً وأُخرى، ولو كان ثم قرار لصح الوصول، ولذلك قال من قال: إن فلاناً يزعم أنه وصل. فقال: لكن إلى سقر.

وقال: لكل همة متعلق، فمن ظفر به فقد وصل. وأشرف أهل الهمم من تعلقت بالله تعالى همته، وليس وراء ذلك مرقى.

وقال: من ادعى أنه خارج عن الأسماء. وأنه قد رماها فما عرف ما يقول، فإنه ما رماها إلاَّ بها، فهو تحت حيطتها، وهي تصرفه. والحجة عليه في دعواه ذلك، فإنه ما ادعى ذلك إلاَّ بقوة اسم حكم عليه.

وقال: لو صح أن يخرج عن الأسماء والصفات لكان في درجة فوق درجة موجده وهذا محال.

وقال: إذا سمع الولي يقول بالخروج عن الأسماء والصفات فإنما يعني به أن مشربه في ذلك مشاهدة ذات لا تتعدد بأحكامها. وقد فني عن نفسه بها، فلم يبق عنده من يحكم عليه اسم ولا نعت ولا صفة، من حيث إنه فان لا من حيث عينه.

وقال: خرج الحق عن الأسماء، ولذلك وقع التنزيه والتعظيم والإجلال لها، لأنه لا يعرف منه إلاَّ هي.

وإذا كان الحق بهذه المثابة من حكم الأسماء فهذا الذي يدعي أنه خرج عنها وعنها وجد، وبها أوجد، وهو فقير على الدوام لأنه مخلوق على الدوام كيف تصح دعواه على غير الوجه الذي شرحناه. هذا قد لبس عليه الأمر.

انتهى الجزء الأول

ويتلوه الجزء الثاني

أوله: ومنهم عبد الله بن إدريس بن عبد الملك.

الجزء الثاني

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد الملك
وابن عبد الواحد
وابن عبد الصمد
وابن عبد السميع
وابن عبد العليم
وابن عبد البصير
وابن عبد النور
وابن عبد الطيب
وابن عبد الرازق
وابن عبد الشكور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إدريس بن عبد الملك

قال: رؤية الأُمهات من عين المنّة توحيد ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ٣٧].

وقال: نوافل الأعمال ما كان لها أصل في الفرائض، وما عدا ذلك فعمل بر ليس بنافلة.

وقال: العالم يخشى الله، والملك يخاف الرب من فوقه، فبين الإنسان والملك ما بين الخشية والخوف، وما بين الألوهية والربوبية.

وقال: خصائص الحق وصنائعه همهم في الستر، لغيبتهم عنهم في الحق، وغيرهم همهم في الإفشاء، لحضورهم بالحق مع الخلق، فيدعوهم إليه من حيث لا يشعرون.

وقال: العلم بالله تجلٍّ لا إلقاء، ونظر لا خبر.

وقال: النور حجاب، والظلمة حجاب، وبالضياء يقع الكشف، وبالظل تقع الراحة.

وقال: لا يتمكن ما سوى الله من ملك وجن وإنس وحيوان أن يتحرك أو يسكن لا لعلة قائمة به في الدنيا أو الآخرة إلاً أن تكون حركته بغيره، فتكون العلة بالغير لا به.

وقال: لولا الحدود المشروعة لكانت الكائنات بعد الحركات تخلص من قيد الطبع.

وقال: لا تخلص حركة أبداً من قيد الطبع ما دامت الأرواح مدبرة للأجسام.

وقال: أصل الكون معلول، فالمرض يلزمه أبداً. ولا دواء يبرئه من علته.

وقال: الذكر لا يصح أن يكون ذكراً مقرباً إلاً أن يكون مشروعاً فالجزاء يلزمه نويت ذلك أم لم تنوه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن محمد بن عبد الواحد

قال: قوله: «كنت سمعه وبصره»[1] إشارة إلى أنه لم يزل كذلك. لأنه قيده بالماضي فالمتجدد وقع في عرفانك لا في الأمر، وكان هنا ناقصة غير تامة.

وقال: إن شاهد الحق به، يرى الرأي سوى ربه.

وقال: إلزم النعوت والأسماء يقو تشبهك. ولا تكن من رجال الصفات فإنهم إناث العارفين.

وقال: حقيقة المعنى له لا لك.

وقال: من رأى نفسه برؤية ربه إياه. إذاً لأوجبت له [تلك الرؤية] نعوت العلا، فلا يلام، ولا يرام.

وقال: لا تعرف وحدانية الحق إلاّ من وحدانيتك. فلا ترى إلاّ واحداً. ولا تراه إلاّ به. فيكون الواحد يرى نفسه، وما أنت ثم، ولا [أنت] هو. فبهذه النسبة يثبت التوحيد الصحيح، وعزيز واجده.

وقال: كل مشهد يقيمك الحق فيه، وبينك وبينه ذكر الأغيار، أو ذكر نفسك، وتزعم أن ذلك قرب فليس ذلك بقرب، لكنك مجاور غير كائن في المقام. فإن القرب الإلهي يذهب الأكوان والأعيان إذا كنت فيه كائناً قيل لبعضهم: اذكرني في خلوتك بربك. قال: إذا ذكرتك فلست معه في خلوة، فإذاً الذكر كون.

وقال: بعض الناس اعتذر عن إبليس. فإن اللام ما أبقت له حجة لو كان مسارعاً إلى مرضاة ربه. وبعض الناس خاصم آدم فحوجج، فحج آدم موسى، فليته خاصم إبليس.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (٦١٣٧) ولفظه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» وروى هذا الحديث غير البخاري.

وقد اعتذر الله تعالى عن آدم فقال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] على انتهاك الحرمة. بل وقع بمطالعة قدراً سابقاً، أنساه ما توجه على التركيب الآدمي من خطاب الحجة.

وقال: من وقف في معرفة الحق موقف العجز. فلم يشاهد في معرفته سوى نفسه. فلا عين المنّة شاهد، ولا عين الحق أشهد.

وقال: من تجرد عن وجوده. كان في وجود الحق عين الهو.

وقال: من طلب الله وحده.

وقال: من طلب نفسه وجد الله ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النُور: ٣٩] ومن طلب الله وجد نفسه، فكل مطلوب حاصل غيرك وغير الحق.

وقال: شاهد الحق أفناني بالحكم، وأفناني عني بالحقيقة.

وقال: من شهد بقاءه بحضوره مع من بقي فهو باق، والبقاء والفناء خلتان لا يحصل معهما توحيد ولا تجريد ولا تفريد، إلاَّ من فني عن فنائه وبقائه.

فالبقاء في السلوك أعلى، والفناء في الوصول أعلى، ولكل حالة مقام معلوم، وشرح مفهوم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يحيى بن عبد الصمد

قال: لو كان ثم طريق يوصل إلى الله لظفر به الواصل، ولا ينال بالسلوك والسعايات، ونيله بالسعاية محال ففرض الطريق إليه محال.

ولما وقف بعض العارفين على هذا المقام قال: الطريق مسدود، والسالك مردود، يعزي هذا القول إلى أبي يزيد البسطامي.

وقال: الكذب وصف للخبر، يحدث بتوهم السامع، حيث يجعل المخبر به في غير الموضع الذي رآه فيه للمخبر أو سمعه، فما كذب مخبر قط فيما أخبر به من جهة الحقيقة.

وقال: إذا توجه القلب إلى شيء فلا يسعه غير ما توجه إليه، وإذا كان الأمر على هذا فلا كلفة في دفع ما سوى الله عن القلب وقد قرب الطريق.

فاجعل شاهد القلب الحق، يذهب ما سوى الحق.

وقال: إن الله في كل شيء كما هو، في السموات والأرض من غير تكييف ولا تحديد، بل كما ينبغي لجلاله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٥] ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

وقال: الحس يدرك بالحس، والخيال بالخيال، والغيب بالغيب، ودع عنك ما يطرأ من الوهم في إدراك الغيب بالحس إذا كان غيباً.

وقال: الرؤية علم، فكل معلوم مرئي، فالعدم مرئي، وهو وقوع الرؤية على لا شيء، فالعالم مرئي لله تعالى وهو معدوم، ومسموع له وهو معدوم.

وقال: رؤية القلب غيباً بغيب، ورؤية العين حساً بحس، والمشاهدة رؤية لا مشاهدة، والمشاهدة في الدنيا كأنك تراه، لا أنك تراه. فالمشاهدة بين الحس والغيب.

وقال: الرؤية والكلام لا يجتمعان، فإذا أسمعك لم تشهد، وإذا أشهدك لم تسمع.

وقال: الذي منع الخلق من رؤية الحق كونهم في قبضته، فهم في ظلمة القبض لا يبصرون، وإذا بسط يده رأوه.

فيده على الأشقياء مقبوضة، فالعمى والحجاب لهم دائم. قال عليه السلام في حديث آدم واليدين حين قيل له: اختر أيتها شئت. فقال: «اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة»[١]. فإذا آدم وذريته.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، وذكر خبر أوهم عالماً من الناس...، حديث رقم (٦١٦٧) [ج١٤ ص٤٠] ورواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ٩٤، حديث رقم (٣٣٦٨). ورواه غيرهما ونص الحديث حسب رواية ابن حبان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فحمد الله بإذن الله فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فسلّم عليهم فقال: السلام عليكم فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم وقال الله جلّ وعلا (ويداه مقبوضتان) اختر أيهما شئت فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطهما فإذا فيهما آدم وذريته فقال: أي رب ما هؤلاء فقال: هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم لم يكتب له إلا أربعين سنة قال: يا رب ما هذا؟ قال: هذا ابنك داود وقد كتب الله عمره أربعين سنة قال: أي رب زده في عمره قال: ذاك الذي كتبت له قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال: أنت وذاك اسكن الجنة فسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم: قد عجلت قد كتب لي ألف سنة قال: بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته فيومئذ أمر بالكتاب والشهود».

فآدم في اليد مقبوض عليه حين اختار اليمين، وليس في اليد، وآدم الذي اختار، والذي ليس في اليد هو عين آدم المقبوض عليه.

وهكذا كل موجود، فيظهر الشيء وإن كان له عين واحدة في مواطن كثيرة، فيتخيل أنه تعدد، وما تعددنا، فالعجب لمن يدري معرفة الله بعقله ويقول: هذا محال وهذا جائز. أين عقلك في هذه المسألة وأنت تقول: الشيء الواحد لا يكون في مكانين.

وقال: تكثر الظلال من الذات الواحدة بتكثر الأنوار، ولكل نور ظل، ومن هذه العين تكثر الصورة في المرائي الكثيرة، وهي صورة وجود حسية، وهي من صورة واحدة، يتلى عليها مثالاً: يا أيتها الصور إنا خلقناكم من صورة واحدة.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحُجرَات: ١٣] من آدم وحواء، عيسى من ذكر وأنثى، وجميع بني آدم كذلك. تنبيهاً للغافلين، وإيجازاً للعارفين.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن داود بن عبد السميع

قال: المعرفة معرفتان: معرفة تحصيل بالنظر والاستدلال، وهي معرفة تعتور صاحبها الشبه، ومعرفة هي حق المعرفة، وهي معرفة تحصل عن الأحوال.

وعن هذه المعرفة تظهر الآيات في خرق العوائد لأربابها، فتخيل بعض الناس أن ذلك الأثر عن الأحوال، وإنما الأثر للمعرفة التي تكون عن الحال. ولهذا قد يكون الحال ولا أثر، لكون الحال لم يكتسب المعرفة بالله فقول من قال: الأحوال للكرامات. يعني إذا كانت عن المعرفة، وهو قول صاحب محاسن المجالس.

وقد نبهت النبوة على هذا الفصل من المعرفة في خبر روي عنه ﷺ: «لو عرفتم الله حق المعرفة لمشيتم على البحور، ولزلزلت بدعائكم الجبال»(١).

وقال: لا يكون الجهل علماً إلاّ في علمك بالله، فإن العلم به جهل، ومن جهله كان عالماً به، وكان صديقاً.

---

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

وقال: إذا ارتفع ستر الغيب عن عين الإيمان، وانصرف البصر إلى القلب. شاهد الحق بعين الحق.

وقال: إن من عباد الله من لا يستره حجاب، ولا يمنعه الحجاب، ومع هذا فلا يعرف ما في جيبه وربما تكلم على الخاطر، وما هو مع الخاطر.

وقال: العلم بالله من حيث الكون لا يصح، فإنه قد كان والكون لم يكن في الكون للكون، بل كان الكون في الكون للكون.

فهو تعلم به الأكوان، ولا يعلم بالأكوان. قال: هو خارج الباب فما يعرف بالكون من الحق؟ قلنا: الآثار تدل على الأحكام والنسب، وعليه من حيث أنه موجود من غير علم ماهيته ولا كيفيته، ولا هويته ولا أنيته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقال: الشغل بغير الله عين الجهل بالله.

وقال: إن من عباد الله من كفاه مؤنة المعرفة، فكشف له عنه فعرفه، ثم عرف نفسه بنور ربه، لأنه يستحيل أن يعرف أحد نفسه به، إذ لا مناسبة ولا مشاركة.

وقال: إن من عباد الله من تقودهم إليه المعرفة به، فيهبهم المعرفة ابتداء وهم جائلون في ميادين المخالفات، ثم يهبهم التوفيق، فيسلكون على بصيرة وسلوك.

وهؤلاء أشرف سلوك السالكين، إذ كل سالك غايته المعرفة، وهي بداية هذا السالك، وهي كانت بدايتنا.

وقال: من كانت بدايته الخوف فغايته الجمال، ومن كانت بدايته الرجاء فغايته الجلال، ومن كانت بدايته المعرفة فغايته الكمال والجهل، ومن قال: الله. فإنما قالها بنفس، فإن الله لا يقال إلاً بالله فهي حالة نفسه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد العليم بن سليمان

قال: لا حياة إلاً عن موت، ولا موت إلاً من رؤية حي، فمن مات غير هذا الموت فلا يحيا، ومن حيي غير هذه الحياة فهي حياة حيوانية.

وقال: من عرف اسماً ربانياً من غير اسم عبداني فمعرفته لقيطة، وإن عرفه باسم عبداني فتلك المعرفة، وهي معرفة بأنس وبسط، ومن عرف اسماً عبدانياً من اسم رباني فهي معرفة قهر وقبض.

وقال: الأجل المسمى هو مسمى لانقطاع الأنفاس، لأنها مناهل طريقه، فمن لا نفس له فلا يضرب له أجل.

وقال: الكامل من عباد الله من كان طريقاً لجريان النعوت الإلهية، وهو يعلم الفرقان بينها وبين العلم بها.

وقال: العبد محق في حق.

وقال: من غيب عن اسمه ورسمه كان القائم عنه سواه.

وقال: من فتح عينه فلم تقع إلاَّ على الله، ومن أغمض عينيه فلا يغمضها إلاَّ على الله.

فمن فرق بين الحالتين فقد وجده، ومن لم يفرق بين الحالتين فقد وجد، وليس عنده وجود بالأمر على ما هو عليه.

وقال: في الإشارة إلى الله إثباتك، فلست بواجد، لأن في وجوده محوك.

وقال: من أراد أن يعرف الله فليعرفه منه. وقد أخبر ﷺ: إنه يتجلى غداً لهذه الأُمة ومنافقيها على اختلاف عقائدهم فيه سبحانه وتعالى في غير الصورة التي عرفوه بها، فينكرونه، فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه بها، بالعلامة التي بينه وبين كل طائفة، وهي ما عرفوه منه في الدنيا فيقرون به، وهو عين ما أنكروا[١].

ولما وقف الجنيد على هذه المعرفة بالله تعالى سئل عن المعرفة والعارف فقال: «لون الماء لون الإناء» فالإناء مثل مضروب لعقده، والماء مثل مضروب لمعروفه.

وقد اختلف الناس في تأويل هذا من علماء الرسوم.

---

(١) يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ونصه: «عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منكم هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز. . .» الحديث رقم (١٨٢، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية).

وقال: العالم بالله من حيث المشاهدة والكشف يرجع إليه، فهو بين أدب وحقيقة، فهو مركب من شرع وحقيقة، يأكل بعضها بعضاً.

فإذا أحس بالألم لا يقدر أن ينطق، فإنه إن نطق أهلك، وإن سكت هلك، فيشكو إلى الله، ويستأذن في أن يؤذن له بالنفس. مثل النار لما أكل بعضها بعضاً، فتنفست نفسين، سعيراً وزمهريراً، فأهلكت الخلق ما كانت تهلك به في نفسها.

كذلك العارف. إذا تنفس استراح في نفسه، وأهلك الخلق بكلامه، فإن رزق العصمة من الناس جهل، وإن لم يرزق العصمة كفر وزندق، وربما قتل، وهلاك الخلق أولى من هلاك نفسك.

ألا ترى القاتل نفسه في النار، والقاتل غيره في المشيئة، والقاتل غيره له كفارة، والقاتل نفسه لا كفارة له؟.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يوسف بن عبد البصير

قال: الرجل من عرف الفرقتين، ولم يتميز في فرقة عنهم في وقت الوزن، ثم ينظر إلى ضنائن الحق خلف ستر العزة مكتنفين بالنور الحجابي والنار تسطع من سبحات وجوههم، في زوايا سرادقات كونهم، فتحرق كل ما أدركه بصرهم منهم، فيبقون مع الحق أعياناً قائمة بلا معنى، فيكون الحق معناهم، فهو نور في نور، فيطمع هذا الرجل باللحوق بهم من عين التوحيد أو المنّة.

فإن رفع له الميزان التحق بهم من عين توحيده، وإن لم يرفع له ميزان التحق بهم من عين المنّة، وكان عند ذلك ممن كمل.

وقال: إن من عباد الله من يشهد لهم الحق، وإن منهم من يشهد لنفسه بما شهد به الحق للآخر وليس هذا بأفضل من هذا. قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ [مريم: ١٥] وقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [مريم: ٣٣].

وقال: الظلال محجوبة أبداً عن موجدها، وظهورها عند طلوع الأنوار على من تولدت عنه. وهي أبداً تطلع من خلف حجاب أسبابها، لترى موجدها فلا تراه أبداً. فهي في ظلمة كونها محبوسة لا تسرح أبداً.

وقال: من كان مع الله مثل ظله معه لا ينحجب عن ربه، ولا يعترض عليه في فعله، ولا يتحرك إلاَّ بتحريكه إياه. وكان عبداً حقيقة، ألا ترى الظل لا يزال تابعاً لمن ظهر عنه؟.

وقال: تطلب الظلال غير مطالع أنوارها، وهو عين رجوع العبد إلى حقيقته وفراره عن مكانة ربه، فلا يزال أبداً عبداً.

وقال: كل ما سوى الله ظل له. ولما كان السلطان مجمع الصفات الإلهية قال فيه ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم»[1].

وقال: ظل كل شخص على شكله، فلذلك يصح أن ينسب إليه.

وقال: لا يقوم الظل أبداً من بساط الخضوع والعبودية إلاَّ إذا قابل كوناً، عند ذلك يظهر فيه بصورة موجده، ألا تراه يؤثر فيه حاله؟ هل رأيت قط ظلاً قائماً إلاَّ إذا قابله جدار أو شبهه.

وقال: في كل شخص ظلان: ظل يخرج عنه متصلاً به من طرف ابتداء وجوده، وظل في نفس الشخص يقابل ذلك الظل. فلا يرى من الظل الخارج من الشخص إلاَّ الظل الذي يقابله وهو صورته.

فلا يرى أبداً إلاَّ صورته ومثاله، لا حقيقة الشخص الذي ظهر عنه.

وقال: تستتر الظلال بأشخاصها، لئلا تتقدمها الأنوار، فلا يكون لها وجود.

فلا يرى الحق أبداً إلاَّ من خلف حجاب، فإن سبحات الوجه لا تقف لها الأكوان.

وقال: إذا أحاطت الأنوار بالشخص اندرج ظله فيه، وانقبض إليه، كما قال سبحانه: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٦] حين جعل الشمس على مد الظل دليلاً.

وقال: ظلك لا يلحقك إن أدبرت عنه متوجهاً إلى الشمس، وأنت لا تلحقه إن أقبلت عليه وأعرضت عن الشمس. والذي حصل لك منه في الإقبال هو الذي حصل لك منه في الإدبار، وفي إعراضك عن الشمس الخسران المبين.

هذا مثل مضروب ضربه لك الحق في نفسك، تقول لك الشمس: أنا، فإني أنا النور، والكون ظلك، وما فيك منه ما قدر لك، سواء أعرضت عن الكون أو أقبلت عليه، فلا تخسر.

* * *

(١) رواه الشهاب في مسنده، السلطان ظل الله...، حديث رقم (٣٠٤) [ج١ ص٢٠١] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب فضل الإمام العادل، حديث رقم (١٦٤٢٧) [ج٨ ص١٦٢].

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إدريس بن عبد النور

قال: العلم في العين حيرة، والعين في الحق حيرة، والحق في الحقيقة حيرة، والحقيقة في العلم حيرة، ترتيباً دورياً.

وقال: ليس في الوجود تكرار أصلاً للتوسع الإلهي، ولو طرأ على الإنسان عدم لم يعدم عين وجوده الأول، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، والعين واحدة، والحال المتنقل إليه وجود آخر، منه بدأنا. وإليه نعود، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعرَاف: ٢٩] منا.

وقال: يتنزل الأمر الحق من سدرة المنتهى على قلوب الخلق من جهة الرأس. ولما كان القلب قد وسع الحق تلقى ذلك الأمر الحق الحق الذي في القلب.

فصدرت الحركة إن كان أمر حركة عن الحق بلا واسطة، فيخرج ذلك العمل من قدسيته، فيعرج على معارج الأرواح، بل عروجها على الطريق الذي نزل عليه الحق إلى قلبه من وسعه نزولاً منزهاً، وعروجاً منزهاً.

ولا تعرفه الأرواح الملكية، بل يرون نوراً لا يعرفون ما وراءه إلى العماء، فيستقر هناك إلى يوم القيامة.

وإن لم يصادف الأمر النازل الحق في القلب، وصادف الملك، تلقاه فينفذ أمره في الجوارح، فيخرج منه على صورة روحانية ملكين، فيقع على معارج الأرواح طيراً حسناً، له من الأجنحة والألوان على قدرها له من اللوازم، فلا يستقر حتى ينتهي إلى سدرة المنتهى، وهناك مقره.

وإن صادف الأمر النازل في القلب الشيطان، انقلب في صورة روحانية نارية شيطانية، فيعرج على معارجهم طيراً أسود، يحلق في الجو إلى أن ينتهي إلى مقعد فلك القمر، وهي كرة الأثير، فلا يبرح فيها إلى يوم القيامة.

وتبدل صورته بأمر آخر، إلى صورة أخرى، فيشق الأفلاك إلى السدرة، وهو الذي يقع فيه التبديل، فيبدل الله سيئاتهم حسنات.

وإن صادف الأمر النازل النفس، ولم يصادف حقاً ولا ملكاً ولا شيطاناً ونفذ أمره في الجوارح، خرج على صورة نفسية، فلا يزال يعرج طيراً حسناً، حتى ينتهي إلى الجنة، فينتظر النعيم الذي لاءم مزاج تلك الصورة، فينغمس فيه، إلى أن يأتيه صاحبه.

وإن صادف الأمر النازل إلى القلب المحل مشتركاً بين النفس والشيطان أو النفس والملك، ولم يحصل للشيطان استيلاء على النفس ولا الملك، بل النفس في حال النظر إلى أحدهم والآخر على ذلك الحال من غير تمكن. نفد الأمر في الجوارح، فعرج على صورة نصفها ملكي ونصفها نفسي. وفيما هو ملك يقيم بالسدرة.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن محمد بن عبد الطيب

قال: عالم الأنفاس حالة مشام الأرواح في التعارف، فما وقع منها وجهاً لوجه كان كل واحد منهما في المعرفة بصاحبه والحب له على السواء، والود ثابت لا يبرح.

وما وقع منها ظهراً لظهر فبالعكس مما ذكرنا.

وما وقع منها وجهاً لظهر، فذو الوجه محب، والآخر عنه غافل.

وقد سمعت قول بعض الصالحين وقد سلّم عليه ذو النون فردّ عليه وسماه، وذو النون لا يعرفه، فقال له ذو النون: من عرفك باسمي؟ فقال له: عرفت روحي روحك بعيني في هذه الحضرة. ومسألة أويس القرني مع هرم بن حيان ولذلك لا يعرف كل شخص.

وقد تكون الرؤية في هذه الحضرة بين الأرواح على الجنب بالعين الواحدة، وقد يكون الواحد مقبلاً على جانب الآخر، وقد يكون على جانب اليمين، أو على جانب الشمال، فيكون أبداً المقبل بوجهه عارفاً بالآخر، ويكون أبداً صاحب العين الواحدة متحير معرفة، غير قاطع بها، ولا يعرف هذا إلاً بعد الكشف لهذه الحضرة.

وقال: العشق التفات الروحية، والحب صفاء ذلك الالتفات، والود ثباته ودوامه، والهوى أول سقوطه في القلب.

وقال: الذهاب صفة العارفين، لكن ذهاب إلى غاية.

وقال: الحال الذي يملكه النبي غير الحال الذي يحكم على الولي. وللأنبياء حال يحكم على الأنبياء. ألا تراهم عند نزول الوحي ترد عليهم حالة الفناء والبهت، ويرغون مثل ما يرغو البعير، وينصرف عنهم الوحي وجبينهم يتفصد عرقاً بحكم الحال عليهم.

وسبب ذلك أن للنبي وجهين: وجه للولاية، فهو ولي بذلك الوجه، ووجه للنبوة. فمن حيث ولايته يملكه الحال، ومن حيث نبوته يملك الحال والولي ليس له وجه سوى وجه الولاية، فيملكه الحال.

فالأولياء تصرفهم الأحوال، والأنبياء يصرفون الأحوال.

ألا وإن الأولياء يصيرون من القوة بحيث لا تسترعيهم الأحوال في حالهم، ولا يقفون مع شيء وقوف تعشق إلاً مع العين التي فيها ومنها تظهر الأحوال. فهي باقية، والأحوال في كل آن فانية والعشق الفاني جهل وعذاب حاضر.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يوسف بن عبد الرازق

قال: من يستعمل العلم فهو العالم المحقق، وهو فوقه، ومن يستعمله العلم فهو مكلف متكلف، حافظ نقل الحكم.

وقال: كل ما كان للعبد كسب فالحق هو القائم به لا العبد، ولكن فيه ظلمة الكسب، وكل ما لم يشاهد العبد فيه كسبه وأبقاه للحق، لم ينظر إليه الاسم القائم، لأن القائم إنما ينظر لمن قام له في فعله كسب، فإنه مقام لاسمه القائم، فلذلك ينظر إليه الاسم القائم، ليزيل قيام الكسب عنه.

وكان العقل نوراً محضاً فخلط من ظلمة الكسب.

وقال: المعرفة من كسب النفس، فالحق قائم بها، فالمعرفة نفسية ربانية جنانية.

وقال: بالباء عرفه العارفون، وبزوالهم صح الدوام لهم في المعرفة.

وقال: من جلس مع الله من حيث هو رزاق فمع بطنه جلس، وهو من المغترين.

وقال: إن من عباد الله من إذا رفع عنه حجاب المشاهدة، ولم يحجبهم عن الذكر في هذه الحالة، وأعطاهم الفهم في ذكرهم وأورادهم في الملكوت، ونفوسهم تتقلب في أطوار النعيم واللذات، بالحور الحسان، والمشارب والمطاعم الشهية، والمسموعات النغمية المستعذبة، وكل ما أعطاه الحس لهم من الكشف في عالم دنياهم إن كانوا في الدنيا، وأهل الآخرة إن كانوا في الآخرة، وأسرارهم ناظرة إلى جمال رب العزة، كل ذلك في وقت واحد، وحالة واحدة، لا يحجبهم شيء عن شيء، فقد أعطاهم الغاية التي ما فوقها غاية، وهي أعلى مرتبة ينالها أولياء الله وخاصته.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الشكور بن داود

قال: العبد بين نعمة وبلية قائم، فالنعمة تطلبه بالشكر، والبلية تطلبه بالصبر، فهو الصبّار الشكور كراكب البحر.

وقال: الرباني فخره في غناه، والإلهي فخره في فقره.

وقال: الحركة تصحبها الدعوى بأنها موجود، والسكون لا دعوى فيه لأنه عدم، فله ما سكن في الليل والنهار خالصاً من الدعوى، وله ما تحرك في غير عالم الليل والنهار. لا في عالم الليل والنهار.

فإذا خرج العبد من ليل نشأته ونهارها كان لله لا لنفسه. ولما كان السكون الثبوت كان له، وكل ثابت فهو له، وما ليس بثابت فهو لك، وهو العدم.

فالعدم الثابت لك منك، والوجود الثابت لك منه، وما بينهما فحالة إضافية ونسب.

وقال: الكافر يعدل بربه إلى نفسه، والمؤمن يعدل بنفسه إلى ربه، والعارف يعدل بربه إلى ربه، وبنفسه إلى نفسه.

الكافر يقع في الظلمة فيحجب، والمؤمن يقع في النور فيكشف، والعارف يشق حجاب الأنوار والظلم، فيرى الحق بالحق، ويرى الأشياء بالحق، والمؤمن يراها بنور الحق، لا بالحق.

وقال: الإعراض لا يمكن أن يكون عن الله، فإنه مطلوب الكل، وإنما يكون الإعراض عن الآيات والذكر فإن الآيات كون، والذكر كون، فإنه من عالم العبارة والخاطر، والحق المطلوب بالوجه خارج عن الأكوان، فلذلك أعرض من أعرض.

ولما رآه العارفون في الآيات والذكر لم يعرضوا عن الآيات والذكر، فسعدوا حين شقي من أعرض عنهما.

وقال: لما كانت الآيات علامات لا على أنفسها أعرضوا عنها معرفة بارتفاع المناسبة فكانوا عارفين.

انتهى الجزء الثاني من كتاب العبادلة
ويتلوه الجزء الثالث

الجزء الثالث

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد الحي
وابن عبد المغيث
وابن عبد العلي
وابن عبد الوالي
وابن عبد المحسن
وابن عبد القادر
وابن عبد الجبار
وابن عبد الباقي
وابن عبد الكبير
وابن عبد العزيز

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه العون والعصمة

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إلياس بن عبد الحي

قال: إن من عباد الله من قلوبهم من نور الملك، ومن قلبه من نور الملكوت، ومن قلبه نور الجبروت، ومن قلبه من نور ملك الملك، ومن قلبه من نور النور.

وقال: الحي من لا يموت ولا يجوز عليه الموت، ومن يجوز عليه الموت فهو ميت وإن كان حياً.

وقال: من كانت حياته بالحي فهو حي دائم، ومن كانت حياته بغير حي كحياة عالم التركيب الطبيعي فهو ميت ولو دام.

وقال: الموت عبارة عن مفارقة الوطن، ومن فارق عبوديته فقد فارق وطنه، والدعوى في الربوبية غربة، والغريب ذليل.

وهو سفر، وفيه يفطر الصائمون، وتقصر الصلاة الرباعية.

وقال: قطع العلائق موت الخلائق، فإذا انقطعت العلاقة بين الروح والجسم صحّ الموت واسم الميت على كل واحد منهما.

وقال: الوجودية حياة أزلية، تتلوها حياة وجودية روحانية، تتلوها حياة عهدية ميثاقية، تتلوها حياة دنياوية.

وفيها حياة سباتية، تتلوها حياة سؤالية، تتلوها حياة برزخية، تتلوها حياة حشرية، تتلوها حياة جنانية، تتلوها حياة نظرية، وهي عين الحياة الأزلية.

إلاَّ أن هذه تسمى حياة أبدية. وهي حياة لا موت فيها، وكل حياة ذكرناها فعن موت.

وقال: من ركب فرس النار طار مع الملائكة.

وقال: الجمال محبوب لذاته وإن اختلفت صفاته في أعين الناظرين.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن هارون بن عبد الوالي

قال: العلوم على خمسة أقسام: علم الأحوال، وهو المشبه بالحمر. وعلم الأوهام، وهو المشبه بالعسل. وعلم التوحيد، وهو المشبه باللبن. أعني علم التوحيد الذي جاءت به الشرائع. وعلم الرسوم، وهو المشبه بالماء، وهو على قسمين: ماء غيث، وماء عيون.

فماء الغيث علم يتعلق بالأرواح، وما في ضمنها، وماء العيون وهو علم ما يتعلق بعالم التركيب، وما في معناه وضمنه، وقوله: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محَمَّد: ١٥]. أي غير متغير.

فإن العلوم على قسمين: علم يتغير معلومه، وعلم لا يتغير معلومه. فإذا كان العلم واحداً لم يتغير، والمشبه بماء العيون هو المتغير، بخلاف ماء الغيث فإنه على صفة واحدة.

وقال: إن من عباد الله من تجري عليه أحكام العبادات على الكمال من غير نقص، وأحكام العبادات من غير أن يكون ذلك متصوراً في قلوبهم.

وربما يقول القائل: وبعض الأعمال لا بد فيها من النية، وهي أعمال القلب، فكيف يتصور أن تكون هذه عبادة؟ قلت: والنية من جملة العبادات التي تجري، وما له قصد في القصد.

وقال: من تحقق بالحق لا يتصف بصدق ولا إخلاص، ولا حال ولا مقام.

وقال: لا يقف الفتح على العبادات، بل قد يفتح في غير العبادات بأعظم مما يفتح فيها، فإن الفتح جود ومنّة، والأعمال للجزاء في الدار الآخرة.

وقال: لا تدخل الحضرة الإلهية أبداً وهناك أحد يجذبك من خلفك، فمن زعم أنه فتح له فتح العناية الإلهية، والتقريب الاختصاصي، وأن معرفته من هذا النمط، ومشربه من هذه العين، وعليه لمخلوق حق يطلبه به فقد كذب، وبطل ما زعم، فهذا شرط الفتح.

وأما العلم فقد يحصل له، ولكن لا فائدة فيه في عين القرب.

وقال: ما ثم إلاً موافقة ومخالفة، فبالموافقة ينال القرب الإلهي، وترفع الحجب، وبالمخالفة يكون البُعد الإلهي وإرسال الحجب، إذ هو القريب البعيد.

وقال: من العباد من لا تضرهم المعاصي والذنوب للعناية الإلهية التي سبقت لهم عند الله، فيا أيها المتعدي حد ربه أنظر ما حصل عندك من الفتح في عين القرب، هل يتغير عليك أم لا؟.

فإن تغير حالك فاعلم أن الله قد نبّهك على أنك في عين البعد، فإن وفقك للتوبة، وألهمك إياها فأنت السعيد.

وإن لم يتغير عليك حالك فانظر في إبقاء ذلك عليك مع وجود المخالفة وانتهاك الحرمة، هل هو من الاعتناء فلا تضرك المعاصي: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. فقد سبقت المغفرة وجود الذنب، فلم يبق له أثر في عين القرب، أو هو من عين المكر بك حتى تفتر فتسلب ذلك في الوقت الذي يضرك زواله.

فإن كان مكراً فاستدرك الرجوع إلى عين الموافقة، ومعرفة ذلك بالاطلاع على كلمة الحضرة، بلسان الفهوانية، فيرتفع الريب والشك، وما ثم إليه طريق إلاً هذا، فإن لم تجده فهو مكر.

وقال: لما انتشر العلم من جانب الحق على بساط الرحمة تسارعت إليه الأكوان، فأخذته من طرق مختلفة، فمهما عدلت عن الطريق الذي منه أخذته ردها إليه القائمون على موضع اجتماع تلك الطرق، فإن أجابوهم سعدوا، فهم عالمون بعين الجمع من سواهم. فعين جمعهم أحدية طريقهم لا غير.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يعقوب بن عبد الباقي

قال: العلوم من الصدور إلى الطروس، لا من الطروس إلى الصدور.

الطروس أمكنة الحروف، والألسنة أمكنة العبارة، والحواس أمكنة الإشارة، والعلم من وراء ذلك كله فهو لا يتقيد بحرف ولا عبارة ولا إشارة فهو منه إليك، فإن

وقفت مع تلك البسائط أتعبك في تحصيله، وتكلفت مشقة عظيمة، وقطعت شقة بعيدة، وإن لم تقف أخذته من عين الرحمة واللطف.

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر   لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقال: إذا كنت مع الحق أينما كان كنت من شأنه، كما هو معك أينما كنت عنده، فصحّ لك أن تكون أنت أنت.

وقال: لا يكون الحق ثواباً إلاَّ لمن لم يتحرك إلاَّ به، ولا سكن إلاَّ به، ولا عرف إلاَّ به، ولا جهل إلاَّ به، فلم يكن الحق في مقابلة شيء سوى نفسه، فهو ثواب لنفسه.

ويحصل للعبد من ذلك كونه محلاً لهذا التصريف على الشهود، فكما لم ير في الدنيا غير الله، كذلك لا يرى في الآخرة إلاَّ الله مع شهود الأحكام الكونية في الدنيا والآخرة.

فهو يأكل ويشرب وينكح، ويسمع ويجيب، وهو حق في حق، بعين محق، عن كل باطل وحق.

وقال: للمؤمنين الدرجات، وللعارفين الفوائد الوجودية، التي هي عين كينونة الحق لا أكوانه.

وقال: ما من ذوق ولا شرب ولا ري ولا وجود ولا تجلٍّ إلاَّ وله لسان، لكن لا يفهم به، ولا يفهم عنه، ولا يقع بجهة الإيماء، ولا يأخذه المثال، فهو لسان خاص بينه وبين ربه، لا يكلم بتلك اللغة غيره.

وقال: الغنى للعارفين، والفقر للمحققين الكمل من الرجال.

وقال: الواله مبطل لوجوده، فلا وجود له.

وقال: الزيادة مشعرة بالنقص في كل شيء، إلاَّ الزيادة من الله تعالى فإنها كمال في كمال. وهنا معنى دقيق لطيف.

وقال: العلم والمعلوم والعالم ثلاثة عينهم واحد.

وقال: اجتمع عارف ومحب، فادعى كل واحد منهما أنه محيط بصاحبه، فسألوني عن ذلك فقلت لهما: أحدكما به، والآخر له.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد المغيث بن ذي النون

وقال المحب مبتلى، والحبيب معافى، والشخص واحد.

وقال:

تصرفنا وتسألنا فهل لي ... إلى تعريف أمرك من سبيل

وقال:

إن الرسالة للنبوة جامعة ... وكذا النبوة للرسالة دافعة

كما قال الصاحب رضي الله عنه: ورسولك الذي أرسلت، قال رسول الله ﷺ: لا، قل: ونبيك الذي أرسلت.

وقال:

إن المقادير تجري غير قاصرة ... وتنتهي بي إلى حد ومقدار
فلا وجود لها إلاً ويحصرها ... ولا وجود لنا إلاً بأقدار

وقال:

إذا كانت أعمالي إلى خالقي تعزى ... وإني مجزي بها عندما أجزى
وقد ورثتني حال مجد وسؤدد ... وإن لنا منها المكانة والعزا
وكانت لنا بالحال حفظاً وعصمة ... وكانت لنا في كل نازلة حرزا

وقال:

لله في خلقه طلائع ... أرواحها كلها طوالع
إن أنجدت طالبات علو ... دارت بأنفاسها الشرائع
أو اتهمت طالبات سفل ... دارت بأنفاسها الطبائع
فبين شرع وبين طبع ... قام لنا مالك وشافع
فمالك يقتضيه طبعي ... وشافع في الطباع شارع

وقال:

بطون في بطون في بطون ... ظهور في ظهور في ظهور
وجود في خمود في وجود ... خمود في وجود في خمود

وقال: الكامل من الرجال يكنى «أبا العيون» لأنه ينظر إلى كل شيء بعين ذلك الشيء، فيعطي كل ذي حق حقه، لأن الله أعطى كل شيء خلقه. فتحقق بمولاه في قوله: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤]. فجمع وما أفرد.

فالعين التي يرى بها ربه، غير العين التي يرى بها نفسه، وعين يرى بها فعله، وعين يرى بها ذنبه، وعين يرى بها قربه، ولكل حال عين.

وقال: المعاذير تهمة وتزكية، ومن لحق برجال الله تعالى لم يعتذر، فالعذر علة قاطعة، فاقبلها ممن جاءك بها، ولا تكنها، ولن يجيء إليك بها مثلك.

وقال: لو كان للوجود انتهاء، ما كان لي عليك بقاء.

وقال:

في صورة الحسن أبدى لي محبته ... فما رأيتك إلاَّ كنت لي حسنا

وقال: اختلفت كلمة الحضرة في عباد الله، فقوم أخرستهم، وقوم أنطقتهم بأنا، وأنطقت آخرين بأنت، وقوم أنطقتهم بهو، والكل له وبه ومعه وإن اختلفوا.

وقال:

توالى البرق لمحاً بعد لمح ... فعانيت الملاحة في التماحه

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن محمد بن عبد المحسن

قال: تنوعت أحوال الملك في نفسه بين ملك ومشيئة، وحكم وعلم، وكلام ومعرفة، فالتصريف للملك، والنفوذ للمشيئة، والتكليف للحكم والإحاطة للعلم، والجود للكلام، والوجود للمعرفة.

وقال:

النار ناران، نار غير محرقة ... وهي التي ما لها سفع ولا شرر

وقال: الإقبال على الله إجابة لنداء الله تعالى، وسماعك إياه من حيث لا تشعر.

وقال: من رأى الله في الأشياء فقد استراح الخلق منه، ومن رأى الأنوار بالله فقد استراح.

وقال: من أسماء الله تعالى ما لا يدل على غير الله تعالى، ولا تعلق له بكون، وهو من خصائص الذات.

وقال: إنما لم يكن في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه ما ثم إلاَّ رتبتان: الحق في الرتبة الأولى، وهو القدم، والعالم في الرتبة الثانية، وهي الإمكان والحدوث عن المرتبة الأولى، والعالم منصبغ بمرتبته، ولو خلق ما خلق إلى ما لا يتناهى، فلا يزال في المرتبة الثانية الإمكانية مصبوغاً بها.

ولا شك أن الحقائق هي في كل شخص بذاتها، لا توصف بالقسمة، ولا بالكلية، ولا بالبعضية فالبياض في كل أبيض بحقيقة، كذلك الإمكان في كل ما سوى الله، وهو الممكن بحقيقة فافهم.

وقال: نزول المعاني في عالم الأرواح تروحن، وإلى عالم الأجساد تجسد، وارتقاء أرواح الأجسام إلى عالم الخيال تجسد، وإلى عالم الأرواح تروحن.

وقال: الاغترار بالله من حيث الكرم والجود، لاعتقاده في جود الله وكرمه.

وقال: ما عصاه مؤمن قط انتهاكاً لحرمة، ولا قاطعاً بالعقوبة، وإنما تقع المعاصي والمخالفات من المؤمنين من حسن ظنهم بربهم.

فإن الأسماء الإلهية واقفة على السواء، وليس هذا الاسم المعين في ظهور أثره عليه بأولى من هذا الاسم المقابل، وهو عند حسن ظن عبده به.

وقال: علّق سبحانه النشر بالمشيئة من غير قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عَبَسَ: ٢٢] وأخبر بالخلق والتعريف والهداية والموت في هذه الصورة: وما قرن من ذلك شيئاً بالمشيئة فما ذلك إلاَّ لحكمة.

وهي التنبيه على النشأة الأخروية وإنها تشبه هذه النشأة الدنياوية، إلاَّ من حيث الجسمية، لا من حيث غيرها، مع أنه ممكن أن تكون بعينها، فهذا تنبيه صحيح كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الواقِعَة: ٦٢]. أنه أنشأها على غير مثال سابق ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقِعَة: ٦٢] إن الله تعالى أخبر أن تلك النشأة بلا جوع ولا تبول ولا تمخط ولا تغوط، منزهة عن المستقذرات كلها.

والأخبار قد وردت بصورة الخلق الأخراوي من اللطافة والصفاء في حق السعداء، والكثافة والكدورة في حق الأشقياء ما لا يناسب هذه الصورة اليوم وقد قال: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النّساء: ٥٦] ولم يقل: إنها بعينها.

وأما قوله: ﴿تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النُّور: ٢٤]. وذكر الجلود والسمع والبصر والألسنة والأيدي والأرجل، فليس هذا دليلاً على أنها أعيان هذه التي عندنا اليوم ولا بد، مع جواز ذلك.

والمقصود حصول العلم عند الشهود، وبأي طريق حصل العلم كانت الشهادة، كشهادتنا على الأمم قبلنا وما رأيناهم.

ومن التنبيه أيضاً قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ [الأعرَاف: ٢٩]. خطاب الأرواح أنها بدئت مدبرة لأجسادها، فتعاد بعد المفارقة إلى تدبير أجساد ترابية تنشأ على عجب الذنب الباقي من هذه النشأة، وتعاد أيضاً كما بدئت من قوله: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريَم: ٩].

ولو كانت الإعادة مثل البدأة لكانت الإعادة في حق آدم تخميراً، كما علمتم أن الله استوى، وإعادة حواء كذلك وإعادة عيسى كذلك، وإعادة بني آدم كذلك بنكاح وتناسل، وتوالد نطفة وعلقة ومضغة وتربية.

وقد ذهب إلى هذا القول ابن قيس صاحب «الخلع». وحمله على تحقيق المثلية. نعم، والأمر جائز. ولكن ما يقع الأمر على هذا. وإنما المثلية في الذي ذكرنا.

وقال: نعوت الكمال تبعث النفوس إلى تعظيمها. وصفة النقص على النقيض من ذلك.

وقال: صفة الرب أبداً واجب على العبد تعظيمها. وصفة نفسه واجب عليه الإعراض عنها. إلاَّ أن يرد في ذلك أمر إلهي.

وقال: صفات الربوبية معظمة ما لم تقم بالعبد. فإذا قامت بالعبد عين الحق لها مواطن تذم فيها، ومواطن تحمد فيها.

وصفات الكون إذا اتصف بها الحق سبحانه عظمت مطلقاً. والتمس الناس لها وجوهاً في التنزيه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إدريس بن عبد الكبير

قال: كل تعظيم لأمر فلعلة ما، وإن كانت خيراً فصاحبها معاتب من الله تعالى جبراً لقلب ذلك الضعيف المستهضم.

وما أقبل ﷺ على من أقبل عليه من زعماء الكفار إلاَّ استجلاباً لقلوبهم، ليؤمنوا، لعلمه ﷺ بأن القلوب مجبولة على حب الإحسان، والنفوس مجبولة على حب التعظيم، لا سيما إذا عظمها من شهد الله تعالى بأنه عظيم. ومع ذلك كله عوتب.

وقال: إذا وقعت الحركة من العالم من غير أن يتحقق العلم بها، يلام عليها من أجل مرتبته، وعلو قدره؛ بخلاف غير العالم، فإنه مسامح في ذلك.

وقال: زينة الحياة الدنيا هي زينة الله تعالى، لأنها تختلف بالقصد، وهي محبوبة بالطبع، فإذا تحرك العبد إليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا، فتذم لذلك وإن كانت غير محرمة شرعاً.

وإذا تحرك إليها بأمر ربه كانت زينة الله تعالى، وحمد بها.

وقال: لما كان أمر الله، وكل ما يرجع إليه جداً كله ذمت الحياة الدنيا، لأنها لعب ولهو وجهل، فإن فخر الإنسان على مثله من جهله بحقيقته.

وقال: أعيان الذوات لا يتعلق بها من جانب الحق ذم، وكذلك أعيان الصفات، فإذا اتصف العبد بها تعلق بالعبد الذم والحمد، فمحط عين الذم والحمد لا في العبد، بل في عين التعلق، فإن للمزاج حكماً لا يكون لكل واحد من المركبين قبل التركيب.

وقال: الكون كله مربوط بالأسماء، والأسماء مربوطة به، فإذا نظرت إلى ربط الكون بالأسماء نسبت إليه القدم، وإذا نظرت إلى ربط الأسماء بالكون نسبت إليه الحدوث.

وقال: كل اسم لله تعالى ليس له تعلق بالكون لا بسلب ولا بإثبات، فهو اسم للذات ليس لله فإن أسماء الله تعالى مخالفة لأسماء الذات.

فأسماء الله تطلب الأكوان، وأسماء الذات لا تطلب الأكوان، فتعرف أسماء الله لهذا الارتباط، وتجهل أسماء الذات لعدمه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إلياس بن عبد العلي

قال: الاسم علامة للمسمى، يعرف به عند الغيبة، ولولا الغيبة ما احتيج إلى الأسماء، فإن الإشارة إلى الأسماء.

فإن الإشارة في الحضرة تفني، فليس للأسماء ظهور إلاَّ في عالم الغيب فإذا حضر غاب الاسم فمن عبد الاسم عبد غائباً، والعبادة لا تكون أبداً إلاَّ مع الغيبة. ولذلك قال: «اعبد الله كأنك تراه»(١).

وهو حال غائب ـ فإن إحضار المرئي من قوتك ما هو حضور.

ولذلك تبتغي الأعمال مع المشاهدة لقيام الحق، وفنائه عن نفسه، فلا يبقى ثم مخاطبة حتى يرد موجوده وهو الغيبة، فيقوم العمل به.

وقال: الليل ذكر، والنهار أنثى، فلما تغشاه حمل فولدت. فظهرت الكائنات من غشيان الزمان فالمولدات أولاد الزمان، واستخراج النهار من الليل استخراج حواء من آدم ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧]، ثم قال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١]. كعيسى في مريم، وحواء في آدم.

فإذا خاطب أبناء النهار قال: ﴿يولج النهار﴾، وإذا خاطب أبناء الليل قال: ﴿يولج الليل﴾.

وقال: المفاضلة بين الخلق عند الله تعالى لنسبهم، لا لنسبتهم، فهم من حيث النسبة واحد ومن حيث النسب متفاضلون: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. «اليوم أضع نسبكم، وأرفع نسبي أين المتقون»(٢)؟.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ...، حديث رقم (٥٠) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان...، حديث رقم [١ ـ (٨)] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الطبراني عن أبي هريرة، باب من اسمه عبد الله، حديث رقم (٦٤٢) [ج١ ص٣٨٣] ورواه غيره.

وقال: لو وقع التفاضل بين الخلق من حيث النسبة لوقع بين الحقائق الإلهية نفس التفاضل، والتفاضل هناك لا ينبغي، فكذلك هنا.

وقال: لما كان الارتباط في الأسماء الإلهية بينها وبين الأكوان لذلك وقع بينهما التمييز وصحّ التوقف بينهم بعضهم على بعض. فالكمال فيهم بالجملة، فالحي أشرف من العالم، لأنه موقوف عليه، والعالم مع المريد، والمريد مع القادر، وهكذا جميع الأسماء.

وإنما تعينت هذه المراتب في الأسماء بالأكوان، ولولا مشاهدة مراتب الأكوان ما نسب إلى الأسماء شيء من ذلك.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن موسى بن عبد القادر

وقال: ما هلك امرؤ عرف قدره، لأنه في معرفة المقادير الإنصاف وأداء الحقوق.

وقال: لو كان الشرف للأشياء من حيث نشأتها أو مواطنها لكان الشرف لإبليس على آدم في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ولما كان الشرف اختصاصاً إلهياً لا يعرف إلاّ من جانب الحق تعالى جهل إبليس في مقالته تلك، وصحّ الشرف لآدم والخيرية.

وقال: الحيرة أوضح لإقامة الحجة من العلم، والعلم أشرف مكانة من الحيرة.

وقال: قدرة الله تعالى نافذة في كل ما سوى الله، وكل ما سوى الله ممكن والمحال عدم محض، فلا يصح عليه اسم ولا غير.

وقال: يعدم بالإرادة، ويوجد بالقدرة.

وقال: المفاضلة إذا كانت بالأعمال فقد سبق التابع المتبوع.

وقال: إنما سميت الجنة جنة لأنها ستر بينك وبين الحق وحجاب. فإنها محل شهوات الأنفس، فإذا أراد أن يريك ذاته حجبك عن شهوتك، ورفع عن عينك سترها، فغبت عن جنتك وأنت فيها، فرأيت ربك فالحجاب عليك منك، فأنت الغمامة على شمسك، فاعرف حقيقة نفسك.

وقال: الأسماء حجاب على المسمى، كما هي دلائل عليه.

وقال أيضاً:

أنت الجواد بما تعطيه محسان   أنا الفقير الذي تدعوه إنسان

بالجود أعرف من بالفقر يعلمني ولي عليه دلالات وبرهان
كما تقرر أن الحق يمنحني ولي بذاك زيادات ونقصان
لي منه بالفقر أرباح مقررة وبالغنى لي منه اليوم خسران
علمي به لا بنفسي أنه سندي برهاننا فيه إسلام وإيمان

وقال: انظروا قوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزُمَر: ١٦] ولم يقل: ظلل من النار.

وقال: يأتيهم الله في ظلل من الغمام، والغمام من الغم، فإن الغمام حجاب بينك وبين السماء التي هي عالم الانفساح، ولذلك تنقبض النفوس عند تراكم الغمام، لأنها تحول بينها وبين عالم انفساحها، ومسرح أبصارها وانشراحها.

وقال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحَج: ٢٢] إلى غم آخر أيضاً أبد الآبدين، فهذا المجيء الإلهي الرباني، مجيء قهر وعظمة، وإظهار اقتدار، للقضاء الفصل بين العباد. فيأخذهم من تحتهم. وكان النبي ﷺ يقول في تعوذه: «أعوذ بك أن أغتال من تحتي»[1].

ويتجلى للمؤمنين من فوقهم، وسبب ذلك أن المؤمن علمه، فنسب العلو إليه، فتجلى له من فوق، يقول الله تعالى في الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

والكافر جهله، فنسب العلو لنفسه، فأخذه الحق من تحته فلم يره، فذلك هو عين الحجاب: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: ١٥]. بالغمام الذي أخذهم فيه الحق من تحتهم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد العزيز بن يوسف

قال: لو كان الإيمان نافعاً لصاحبه من حيث هو إيمان فقط لنفع الإيمان عند رؤية البأس، وفي الدار الآخرة، وعند طلوع الشمس من المغرب، وهو ليس

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر ما يستحب للمرء سؤال ربه...، حديث رقم (٩٦١) [ج٣ ص٢٤١] ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، ورواه غيرهما.

بنافع مع وجوده في هذه المواطن، ولا المواطن أعطت هذا. فإن قوم يونس قد نفعهم الإيمان في هذا الموطن، وإن الله تعالى استثناهم، فلم يبق النافع إلاّ النافع جلّ جلاله.

والإيمان من حيث أنه ينفع مقترناً بحالة ما، أو في موطن ما. حجاب عن الله، فلا يحجبك إيمانك بالله عن الله، ولا تتخذه سبباً، بل اجعل نفسك سبباً له، فإنه ليس له ظهور إلاّ بك.

وقال: أعظم العبادات عند الله ما أيدها الخيال. «أعبد الله كأنك تراه»[1]. وما أنت له تراه.

وقال: لولا الوهم ما ظهر للعلوم في الكون سلطان، فإنه ما ثم قطع، إذ لا يقطع على الله بشيء، فإن المشيئة في الكون مجهولة، فكما هو شديد العقاب، فهو الغفور الرحيم.

وقال: بالتزيين ضلّ من ضل، وبه اهتدى من اهتدى فالزينة هي الحاكمة على العبد بتعشق حاله، ولذته بما هو فيه، لأنه بالطبع يطلبها، ولو عاين وجه الكراهة في حاله، ولم يزين له ذلك ما أقدم على مكروه والله عليم حكيم.

يقول الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]. إلاّ أنه قال في موضع آخر: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٤]. ثم قال في موضع آخر: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]. فأبهم الأمر علينا، وما عرفنا الفرقان بين الزينتين.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن شموئل بن عبد الجبار

قال: دخول الجنة برحمة الله تعالى، ولا يدخلون غالباً حتى يبتليهم الله تعالى. فالابتلاء من رحمة الله، فبلاء الأجسام هنا، وبلاء السرائر هناك فالظاهر من كل عالم هو المبتلى.

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

ولما كان الظهور هنا للأجسام، والسرائر باطنة فيها وقع البلاء بالجسم، ولما كان الظهور للسرائر هناك. والأجسام باطنة فيها، وقع البلاء بها هناك ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطّارق: ٩]. ومن هنا تعرف أن نشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا، وإن كانت طبيعية.

وقال: نشأة السعداء طبيعية. ونشأة الأشقياء عنصرية. فاعتبر ما قلناه فإنه يغلب على ظني إنه ما طرق سمعك من غيري والله أعلم.

وقال: للعلم الإلهي توقف في التعلق ببعض الأكوان من حيث النسبة حتى تكون تلك النسبة، فيكون التعلق بها على حسب ما تعطي.

وقال: لو آمن أهل الكتاب بما في كتابهم لآمنوا بك. فكان خيراً لهم. فمن كفر بمحمد فقد كفر بنبيه وما أنزل عليه. فإنه كذبه فيما أتى به من الإيمان بمحمد ﷺ. وغير ذلك.

وقال: وجوه القلوب هي المسودة والمبيضة. ثم تلا: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٦]. لأنها الظاهرة هناك وهي التي كانت هناك مسودة بالكفر. مبيضة بالإيمان.

وقال: تحول الإنسان في الصورة التي في سوق الجنة دليل على ظهور روحانيته هناك على جسمانيته[1]، كما يتحول الإنسان هنا في باطنه في صور مختلفة مع الأنفاس، والجسم على حالة واحدة.

وقال: المقصود والإشارة عند أهل الاعتبار من الدار الآخرة من كونها آخرة تحول النشأة فيها. فيرجع الظاهر باطناً. والباطن ظاهراً. ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الـزُّمَـر: ٥] ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الرُّوم: ١٩] حياة كله. كشف وحقيقة.

تمّ الجزء الثالث. ويتلوه الجزء الرابع

والحمد لله وحده. وصلواته على نبيه محمد وآله

---

(١) يشير إلى الحديث الشريف الذي رواه أحمد في المسند حديث رقم (١٣٤٢) [ج١ ص١٥٦] ونصه: عن ابن سعد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم يرَ الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن الناعمات فلا نبؤس فطوبى لمن كان لنا وكنا له».

الجزء الرابع

من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد العال
وابن عبد الرؤوف
وابن عبد الناصر
وابن عبد الغني
وابن عبد الحميد
وابن عبد القاهر
وابن عبد الواسع
وابن عبد العظيم
وابن عبد السلام
وابن عبد الوهاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على نبيه محمد وعلى آله

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن دانيال بن عبد العال

قال: إن من الأسرار ما ينال بالإشراف عليها، فتكون علوماً ليس لها أحوال.

وقال: الكون وإن لم يكن له أثر فلا تظهر الآثار إلاَّ منه وبه. فهو الباطن سبحانه عن الإدراك في هذه الرؤية.

فابتداء الأشياء منه. وإليه مرجعها، وهو القائم بها، ما بين الرجوع والبدء. ولولا هذا الحفظ الإلهي ما استمر لها وجود.

وقال: عمى الناس عن تبديل الكون في أصله، في كل زمان فرد بأسره، ومع هذا فأنت عين الأول لا مثله ولا غيره، فهو مكون على الدوام، وأنت مكون على الدوام، ولو لم يكن الأمر هكذا لاستغنيت حالة ما، وكانت الصفات الافتقارية التي هي في مقابلة استغنائك تطلب حيث تظهر. ولست بمحل لها، فتعود على من لا يقبلها، وليس لها محل غيرك، والاقتدار نافذ فيك.

وقال: الفطنة والفراسة والإلهام من علوم الأولياء، وهي كلها صفات كمال لهم، مع أنها تشير بذاتها إلى جهل وعجز وغفلة، سوابق عليها، والاختصاص الإلهي يزيلها، ويقيم هؤلاء بدلاً منها.

وقال: العبودية ميزان، لا يعلم إلاَّ من جانب الحق سبحانه وتعالى.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إسحاق بن عبد القاهر

قال: الوقت يسحقك ولا يمحقك.

وقال: لما كانت العلاقة أمراً مشتركاً بين الجسم والروح لذلك صحّ اسم الميت لكل واحد منهما، كما صحّ اسم المفارق لكل واحد من الزوجين لما وقعت الفرقة على عين الجمع بينهما، فنبّه الحق على رجوع العلاقة بين هذا الجسم بعينه وبين روحه بقوله: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فَاطِر: ٩].

والجسم هو المشتبه بالأرض، وهو الذي طرأ عليه الموت. ففرق بينه وبين روحه المدبر له، فلو كان غير هذا الجسم لم يكن جسماً طرأ عليه موت، فكانت الآية لا تصح، غير أنه تختلف عليه الأعراض، كما وردت به الشريعة من الله.

وقال: طاعتك الله فيها طاعة كل شيء لك.

وقال: إذا وقف سر العبد مع من لا تجوز عليه الحركة والانتقال لم تظهر عليه كرامة أصلاً، وصار الأمر باطناً ففي باطنه من العجائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وقال: لا يعطى أحد التصرف في العالم على الكمال، وقد يعطى التصريف، لكن قد يمكن من بعض العالم فيتصرف فيه، وهو الذي يزهد فيه بعضهم. زهد أدب؛ إذ لم يقترن أمر به؛ فإن اقترن به أمر لزمه اتباعه ولا بد.

وقال: من أراد أن يعرف ما عنده من معرفة ربه؛ فلينظر إلى ما عنده من الوقوف عند رسومه. وزناً بوزن فإن استغرقت أنفاسه المعاملات ظاهرة وباطنة فقد أشرب المعرفة بالله شرباً.

ولقرض بالمقاريض، وإحراق بالنيران أهون على العارف من أن يمر عليه نفس في غير طاعة الله، ولو بشر بالغفران. والتجاوز عن ذلك النَّفَس [لا يكون منه] فإن أعمال العارفين ما قامت على طلب الأعواض. وإنما قامت على ما يقتضيه الأمر في نفسه؛ فشتان بين العبادتين.

يقول العارف: الله فيحرق بنفسه كل ما سوى الله. ولكن من حاله لا من مقامه.

وقال: إذا أدرك المحقق اللذة في علمه بالله فما علمه. فليحقق نظره، فإن العلم بالله في الدنيا ليس فيه لذة، ولا في الآخرة، غير ما يظهر على صور الباطن في الدنيا من ذلك، وعلى الظواهر في الآخرة.

وقال: الرجال على أقسام: رجال يذكرون الله تعالى فيذكرهم. ورجال يذكرهم الله فيذكرونه. ورجال يذكرون الله فلا يذكرهم، وإنما يذكرهم ما تعلقت به الهمم عند الذكر. وهو الباعث. فيتحفهم به. فالأول ذكر السالكين. والثاني ذكر العارفين. والثالث ذكر العابدين.

ورجال يذكرهم فيذكرونه فيذكرهم. وهو ذكر المحقق، جعلنا الله ممن له في كل قسم أوفر حظ. وأكمل نصيب.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يوحنا بن عبد الرؤوف

قال: كل غاية بداية إلى غير نهاية. دنيا وبرزخاً وآخرة. فإن الترقي في البرزخ لبعضهم كما هو في الدنيا. وقد خالف في ذلك الأكثرون لعدم الكشف والثبوت في البرزخ.

والتعريف الإلهي، والزيادة في هذا الطريق مقبولة، لأنها كلمة من عدل شاهد ما لم ير غيره.

وقال: إذا ذهب الأنس والوحشة من قلب العبد كان حقاً محضاً.

وقال:

القلب لا يثبت بالله	إلاَّ إذا أشهد في الباه
فذلك القلب الذي قد رأى	الله بالله وباللاهي
طوبى له من ناظر صورة	ما جازها كون سوى الله

وقال: عجباً. كيف يجيب من لم ينادى. ليت شعري، من ناداه حتى أجاب نداه.

وقال: نداء الحق للخلق على قسمين: نداء كفاح، وغير كفاح، فتحصل الإجابة من الكل، وتتبين الطريق في المكافحة، وتسد عليه جميع المسالك فيسعد.

وقال: الزوائد تارة تكون للأولياء من الله تعالى، وتارة تكون لهم من أنبيائهم. فإن الولي لو صعد ما صعد فلا بد أن يرى قدم نبيه أمامه.

وقال: تخرج الأرواح طاهرة من حضرة الرحمة، فإذا توسطت الفضاء تنزلت عليها لطائف المنن أمانة، فتنظر تحتها، ثم تنظر إلى قلوب بني آدم، فترسل اللطائف عليها إرسالاً متتالياً فيجد لذلك العارفون في قلوبهم برداً وانفساحاً فينطقون بالحكم نطقاً إلهياً لا عوج فيه ولا تعريف.

وقال: لا ينطق عارف قط إلاَّ عن إذن إلهي، ومن نطق من غير إذن إلهي يعرفه ويسمعه فليس بعارف. فلا ينبغي أن يرد كلام أهل الله تعالى. فإنه علم لا منازعة فيه. كما قال ﷺ: «عند نبي لا ينبغي تنازع»[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النّجم: ٣].

وقال: المتقي مشهوده الرحمة في مآله.

وقال: الأحجار مواضع الأسرار، ومنابع الحياة والأرواح فمن كتم سره منهم اتخذه الحق يميناً.

ودونهم في الكتمان النبات. ولكن لا يبلغ في حفظ السر مبلغ الجماد ألا ترى الأزهار تنم بما فيها؟.

ودونهم في الكتمان الحيوان. ألا تراهم ينبهون بحركاتهم وأصواتهم على ما في نفوسهم؟ وهؤلاء الأصناف كلهم أمناء الله على ما يؤول إليه أمر الخلق.

ودونهم في الكتمان الإنسان والملائكة وهم على صنف هذا النوع من الإنسان ما عدا الأنبياء. وعليهم يدور الأمر. وهم العرائس والضنائن. والمقصورات في الخيام. وهم الذين يُقال فيهم غداً: إن الله آمناً.

وقال: الرجل من أشبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفَتْح: ١٠].

* * *

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، حديث رقم (٣٠٥٣) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ترك الوصية...، حديث رقم [٢٠ ـ (١٦٣٧)] ورواه غيرهما.

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الواسع بن معروف

قال: جميع الأرواح بعد الموت محبوسة في البرزخ في صور أعمالها. تتنوع عليها الصور تنوع الأعمال من خير وشر ما لم تمت على توبة إلاً أرواح الأنبياء. فإنها مسرحة تمشي حيث تشاء. إلاً أن للأرواح اطلاعاً على أماكن أجسادها من الأرض من مكانها حتى تعود إليها.

فكل ميت يرى في المنام فهو تمثل في خيال الرائي. يمثله الملك أو الشيطان أو النفس. إلاً الأنبياء فإن الشيطان لا يتمثل بهم عصمة لهم كما كانوا في حال حياتهم معصومي البواطن من إلقائه. فانسحبت العصمة عليهم حياة وموتاً في المحل الذي كانوا معصومين فيه، وهو باطنهم.

والرؤيا في النوم من عالم الباطن. لأنها تمثل معنى أرواح في قالب محسوس فهو روح ذلك النبي يدبر صورة جسدية يراها الرائي. والاختلاف الذي يقع في تلك الصور راجع إليها. لا إلى روحها. ويراه مائة ألف شخص في وقت واحد. على صورة مختلفة. والروح واحد هو هو.

ولكن الصورة ومثالها إلى الصور المتعددة كمثال الشمس إلى الأماكن فالنور المنبسط في مكان ما ليس هو النور المنبسط في غيره من الأماكن، وهو الشمس ليس غيرها، وتختلف تلك الأنوار باختلاف ما انبسطت عليه من الأماكن والصفاء وغير الصفاء، وتسمى بتلك الأنوار شمساً، والشمس في عينها لم تتغير بتغير الأماكن.

فذلك تغير الحق في ذلك الموضع، أو نفس الرائي، فانصبغت الصور بذلك.

وقال: الأرواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب جسماني حسي. لكن نعيم أو عذاب معنوي فيما انتقلت إليه وهو شبيه بهذا الجسم الأول حتى تبعث أجسادها فترد إليها. فتتنعم عند ذلك في الدار الآخرة حساً ومعنى كما كانت في الدنيا.

ويؤيد ما ذكرناه عند أهل الطريق قول بعضهم: رأيت بشر الحافي رحمه الله بعد موته. فقلت له: ما فعل الله بك؟.

قال: غفر لي. وأباح لي نصف الجنة. قال أبو مدين في هذه الحكاية: يعني أن روحه متنعمة بالجنة التي تليق بها، والنصف الآخر هو الجنة التي يدخلها ببدنه إذا حشر. فيكمل النعيم بالنصف الآخر.

والأكل الذي يراه الميت بعد موته في البرزخ هو كالأكل بالصورة التي يراها النائم في النوم. والنعيم مثل النعيم سواء. فإن الحضرة واحدة. قال ﷺ: «إني أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»[١]. وكذلك كل شخص في النوم.

غير أن الفرق بين النبي وغيره في هذه المسألة التي لأجلها قال ﷺ: «لست كهيئتكم»[٢]. ليس لنفي الأكل والشرب في النوم في حق كل إنسان. وإنما هو راجع إلى ما يعود من ثمرة الأكل التي هي الشبع وثمرة الشرب التي هي الري إلى هذا الجسم النائم في هذا الفراش، يبيت جائعاً، فيرى أنه يأكل، ويستيقظ لذلك وهو شبعان. وغير النبي يأكل في النوم، ويستيقظ وهو جيعان.

وقد اتفق لي مثل هذا. ولما استيقظت بقيت رائحة ذلك الطعام على نحو ثلاثة أيام. وكان كل من لقيني يقول لي: ما شممت رائحة طعام مثل هذا، وكنت أسكت ولا أخبر به.

وإذا رأى الولي ذلك فلم يزل هذا الأثر من أحكام النبوة، لا من أحكام غيرها. وقد وردت الأخبار النبوية في أمثال ذلك. وإن المبشرات جزء من أجزاء النبوة. وإن كذا جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة ومن حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه.

وقد رأينا هذا بأنفسنا. أكلنا وأصبحنا وعلينا رائحة الطعام التي أكلناه وشبعنا، وهذه وراثة نبوية، فهي للنبوة أولى، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرى: ٦٠]. ووقع الحكم من الشارع بحكم الغالب، لا بحكم الجميع. أعني قوله: «لست كهيئتكم»[٣].

* * *

(١) رواه ابن راهويه في مسنده، ما يروى عن أم علقمة مولاة عائشة، حديث رقم (١٠٣٥) [ج٢ ص٤٦٣].

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الوصال... حديث رقم (١٩٦٤) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم، حديث رقم [٦١ ـ (١١٠٥)].

(٣) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يحيى بن عبد الناصر

قال: الجسد الميت عندنا حي مثل حياة الأحجار، فقد يطلع عليها بعض المكاشفين، فيتخيّل عند رؤية ذلك أن أرواحها لم تفارقها، فيقول: إنه ليس بميت، فيكفر؛ فإن الله تعالى قال فيه: إنه ميت في عموم قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُمَر: ٣٠].

لكن هذا المكاشف لو عرف أن الموت عبارة عن قطع العلاقة التي بين الروح التي كانت لهذا الجسم وبينه لم يقل ذلك. ألا ترى إلى موسى (ع) يضرب الحجر الذي فرّ بثوبه وهو يناديه: ثوبي يا حجر. وقال ﷺ: «وإن بالحجر لندباً ستة أو سبعة من ضرب موسى»[1] الحجر ولولا علمه بأن ذلك يؤثر في الحجر عقوبة لما فعل ما فعل من ذلك الضرب.

وخرق العادة في الحجر إنما هي الحركة بنفسه من غير هبوط، فكذلك حياة الجسم التي هي فيه.

وقال: لللذّات والآلام أسباب تتوقف عليها، لكن منها أسباب عادية، وقد تكون اللذة عقيب سبب الألم والألم عقيب سبب اللذة ويكون ذلك خرق عادة، فيسمى سبب البلاء بلاء، وسبب اللذة نعمة عرفاً. ويُقال: الشكر على البلاء، والصبر على النعماء، وليس بصحيح.

وكانت المعاملة تكون وفق الحق تعالى. وأجهل الناس من يجهل حاله وذوقه، والذي هو فيه.

فصاحب هذا القول يجد اللذة عقيب سبب الألم. فلو وجد اللذة تنبعث النفس بالشكر، ولوجود سبب الألم يتخيل أنه يشكر على البلاء. وهو لا يعرف الباعث للشكر. وكذلك الصبر أيضاً.

وقال: لو كوشف العبد بالأمر فذلك العلم. وإذا ثبت عليه من غير أن يتخيله عقله فذلك اليقين. وإذا حكم عليه فأثر فيه أثراً بحيث يتصرف اليقين على حكم ذلك الأثر فتلك الطمأنينة.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر تعيير بني إسرائيل كليم الله تعالى بأنه آدر، حديث رقم (٦٢١١) [ج١٤ ص٩٤]. ورواه غير بألفاظ قريبة من هذا اللفظ.

وقال: إذا كان المعلم الحق كان علماً لا تعتريه شبهة. وإذا كان المعلم غير الحق اعترت صاحبه الشبهة فقدمت فيه.

وقال: المعجزة علامة ما هي نائبة مناب الخطاب. وليس بواجب على الأنبياء إظهارها. وإنما ذلك من بسط الحق للعالم. ونزوله إليهم. غير أنها بكل حال لا تعطي العلم عند الناظر. إذا كان نافذ البصيرة.

ثم الذي يفيده العلم من ذلك أن يقيده الإيمان.

وقال: الإعجاز من عالم القهر. وعروته العجز لا الإيمان، فليست المعجزة إلاً لإقامة الحجة، لا لوجود الإيمان.

وقال: ما لم يعلم إلاً بالدليل لا يقع على الإلهام به إلاً بدليله. غير أنه ليس صاحب نظر فيه قبلهم العلم بالدليل. والعلم بالمدلول. وكذا يجدونه ولا يعرفون الفرقان بينهما.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن شبيث بن عبد العظيم

قال: كما أن القطع بالمضمون من الرزق، والتحقيق به يؤدّي إلى عدم تعمل الحركة في تحصيله، لعلمه بأن الحركة غير مؤثر فيه فصارت كأنها عبث وعذاب حاضر، كذلك العالم، إذا حصل له العلم بنزول أحد الدارين؛ الجنة أو النار، وتحقق به. أداه إلى تعطيل حركة العبادات من الأعمال المشروعة.

ولهذا الواقع جنح العارفون من رؤية جزاء الأعمال حذراً من هذا الكسل، إلى رؤية ما تقتضيه الربوبية عند العبد من التعظيم. فيقومون بالأعمال العظيمة من حيث ما تستحقه وتقتضيه الربوبية علينا، لا من حيث ما عدت به. إيماناً بما وعدت به في ذلك، فلا يخلط الدارين، ولا يفرق بين المنزلتين وعلى هذا قامت عبادة خاصة الله وأهله، من نبي وولي، وهو مذهب رابعة العدوية رضي الله عنها وغيرها صرحت بذلك فيما نقل عنها، ولقينا على ذلك جماعة من شيوخنا.

وقال: الحملة ثمانية: إسرافيل، وآدم، وجبريل، ومحمد، وميكائيل، وإبراهيم، ورضوان، ومالك.

فإسرافيل وآدم للصور، وجبريل ومحمد للأرواح، وميكائيل وإبراهيم للأرزاق، ومالك ورضوان للوعد والوعيد، واتسق الخلق، وانتظم الأمر الحق.

وروينا هذا الكلام عن شيوخنا، ذكروه عن ابن مسرة الجبلي الذي كان بقرطبة، وفيه حضور الأمر كله.

وقال: آدم ومحمد أخوان، ونوح وعيسى أخوان، وإبراهيم وسليمان أخوان، وموسى وداود أخوان، هكذا تمّ الأمر لنا في الكشف وما عرفت المناسبة: فبالقلب طولعت به: وأطّلعت عليه.

وقال: من خرج من رق الأوقات كلم من غير ميقات لأنه لا يعرفه، ومن خرج عن رق الكونين أشهد الحقائق في العين ولذلك قلنا:

إذا بدا الكون الغريب لناظري حننت إلى الأوطان حن الركائب

وقال: ما تجلى الله لشيء إلاّ خشع له، لأن ذلك الشيء يرى حقيقته في ذلك التجلي ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، صعق موسى (ع) بما اندك به الجبل، ولذلك قلت:

ليس في الأمر اضطرار لا ولا فيه اختيار
إنما الأمر وجود وكذا العقل يحار
إنما نحن عبيد وعلى هذا المدار
فاعتلينا وانشغلنا فبروز وبزار
هو للشمس قديم هو للبدر معار
فكذا كان دوام وكذا كان سرار

وقال: ليس في عين الأمر اضطرار ولا اختيار، ولكن علم سابق، وقضاء لاحق، وقدرة نافذة، وإرادة غير قاصرة.

وقال: إذا أنصب الصراط على متن جهنم على الصفة التي ذكرها الشرع. فأما المعطلة فلا يحصل لهم عليه قدم أصلاً. وأما الفرقتان اللتان تقولان بانعدام العالم بعد إيجاده فيخطون فيه خطوة واحدة ويقعون في النار، وأما المشركون فلا يحصل لهم عليه سوى القدم الواحدة، فإذا اعتمدوا عليها، وأرادوا أن يضعوا الأخرى، لم يقدروا على ذلك، ووقعوا في نار جهنم. وأما ما عدا هؤلاء من الفرق فيمرون عليه على مراتبهم.

***

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يوسف بن عبد الغني

قال: الموحدون على قسمين:

موحدون من حيث العلم، وهم الذين يخرجون من النار بشفاعة أرحم الراحمين، لا يشفع فيهم ملك ولا نبي.

وموحدون من حيث الإيمان، يشفع فيهم النبيون، فلا يبقى أحد في النار يعلم ألا إله إلاَّ الله.

وقال: من نسب إلى شيء سوى الله تعالى خلق شيء من الأشياء كائناً ما كان فهو مشرك. بقدر ما نسب، والأمر فيه إلى الله تعالى، إلاَّ أن يجعل مع الله إلهاً آخر. فهو لا محالة في النار.

وقال: رفع للناس يوم القيامة خزائن، وفي كل خزانة خزائن فخزانتان منهما إذا رفعتا أثرتا الغبن والندم عند الناس، وخزانتان إذا رفعتا أثرتا الفرح والسرور، وخزانة تنكس الرأس وتورث الويل والثبور.

وقال: يحشر الناس يوم القيامة في الظلمة، والشمس منكسفة لا نور لها، وقد يزيد حرها سبعين ضعفاً، وليس لأحد يوم القيامة نور إلاَّ من ذاته خاصة، فنوره يسعى يوم القيامة من بين يديه ومن خلفه إن كان متبوعاً يقتدى به.

فثم شخص يعم النور جميع جهاته، ظاهراً وباطناً، ويكون في نفسه نوراً، وهو أكمل الناس.

وثم ناس ينزلون عن هذه الدرجة في النور على منازلهم في المعارف والأعمال إلى الظلمة المحضة التي لا نور فيها.

فإذا استنار بأنوارها أهل الأنوار جاءهم رسول رب العزة غيباً يعلمون به ولا يرونه، فيقول لهم: أنا رسول الحق إليكم فيقوم المهديون من تلك الطائفة، فيقولون: ماذا جئت به أيها الرسول؟.

فيقول: اعلموا، أو تعلموا ـ قد خرج عني أي اللفظين سمعته ـ يقول: إن الشر في العدم، والخير في الوجود.

أوجد الإنسان بجوده، وجعله وحدانياً في وجوده، وتخلق بأسمائه وصفاته. وفنيَ عنها في مشاهدة ذاته، فرآى نفسه بنفسه، وعاد العدد إلى أسه، فكان هو ولا أنت. أو قال: بلا أنت أو بلا هو، لا أدري أي الكلمتين يقول، وقد سدت عني.

وقال: الخلق مجبور، فكيف يحيط بالحقيقة محصور.

وقال: أحاط الله علماً بكل شيء: وعلم ما لا يتناهى إنه لا يتناهى من غير إحاطة، فإنه لو علم محاطاً به يعلمه على خلاف ما هو عليه، وذلك في حق الحق محال.

وقال: ما فقد أحد الحق في شيء إلاً كان له ظلمة، ولا وجده في شيء إلاً كان له نور من حيث وجده، ولا شك أن الناس يتفاضلون في وجود الحق في الأشياء، فمنهم ومنهم.

وقال: من أراد أن ينظر إلى ربه فلينظر إلى نفسه، فإن عرفها عرفه، وإن جهلها جهله.

وقال: من أعجب صنع الله إن الشيء مع كونه ذاتاً واحدة يظهر في أعيان وجودية كثيرة، وهو هو بعينه ما انقسم، فهو موجود لله وما برح، وموجود له وما برح، وموجود في القبضة وما برح، وموجود في خارج القبضة وما برح، وموجود في الأحد وما برح، وموجود في البرزخ وما برح، وموجود في الجنة إن كان سعيداً، وفي النار إن كان شقياً وما برح، وهو لا غيره.

فسبحان من أخفى الحقائق خلف حجاب العقول والأفكار.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن آدم بن عبد السلام

قال: ما ثم إلاً هو وأنا، فما ثم إلاً وجوب، فلا محال ولا ممكن.

وقال: لما كانت الأرض موطن اجتماع الحقائق من جميع الخلائق. لذلك كانت محال الخلائق، وإنما جهل من جهل الأسماء، لكونه ما برح من السماء.

وقال: كل ما سوى الله مركب، لا يوجد قط واحداً أصلاً، فلا تصح الأحدية إلاّ لله، ولهذا لا يشهده أحد قط في أحديته.

وقال: توحيد الخلق للحق إنما هو من حيث خصائصهم التي بها ومع التمييز لكل موجود عن غيره ولا تقع فيه مشاركة، فبذلك القدر ثبت التوحيد الإلهي في نفس من ثبت، وهو الآية التي له في كل موجود، تدل على كونه واحداً في ذاته.

وقال: نسبة الكثرة من حيث الأسماء ليس بتركيب، وإنما ذلك راجع لتعلقات من عين واحدة إلى عيون كثيرة أعطتها حقائق الكيان.

وقال: لو وقع أخذ الميثاق على البطون لقالوا: نعم، ولم يقولوا بلى. وأما قول ذي النون حين سئل: هل تعلم الآن شهوداً إنك قلت: بلى؟ فقال: لكأنه الآن في أذني. يشير إلى أن وجود الأخذ باق إلى الآن في عالمه. كما ذكرنا أن العين وإن كانت واحدة فلها وجودات ومواطن كثيرة تظهر منها.

وقال: لا يعرف الله بالكون، ولا يعرف الكون بالله، فإنه سبحانه لا يكون دليلاً ولا مدلولاً، لعدم الرابط الذي يقع فيه الاشتراك بين الدليل المدلول، فالعلم بالله تعالى علم إلهي ما فيه شيء من الكسب: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [محَمَّد: ١٩].

وقال: إذا تحقق الموحد بتوحيده لم يبق له توحيد، لا قدرة ولا كسباً فلو قيل له: قم، أو اقعد ما استطاع، فهو المقام والمقعد، ومتى لم يكن بهذه المثابة في حاله فليس بموحد، فالناس يشهدونه حاملاً للأشياء، وهو والأشياء محمول.

وقال: الموحد من شهد له التوحيد، لا من يشهد بالتوحيد.

وقال: «لا إله إلاّ الله» توحيد المؤمنين، و«الله» إقرار الموقنين، و«هو» إقرار العارفين، والخرس إقرار الكمل من الرجال، وليس لهم نطق في خرسهم إلاّ بلا إله إلاّ الله.

وقال: من خرج عن وطنه عند ارتحاله عن أرض بدنه، ولم يقم به ميل، ولا عراه نشاط، ولا كسل، ولم ينقصه ذرة من العمل، وشاهد الأزل بعين الأزل، وناب الحق منابه، فما صعد وما نزل، وتوقفت عليه الأسباب والعلل، فذلك الموحد العارف الكامل الذي لا يزال.

وقال: من اتخذ الحق وكيلاً لم يقم على توحيده دليلاً، فإن اتخذه عن أمر ربه فقد كملت سعادته وعلمه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن محمد بن عبد الحميد

قال: الصوفي ابن وقته، والرجل من لا يتبناه كون.

وقال: الرجل من يمر على الأوقات، ولا تمر عليه، فيكون حاكماً لا محكوماً، وعالماً لا معلوماً.

وقال: ليس الرجل من إذا صلّى في فلاة من الأرض وحده، وانصرف من صلاته انصرف معه ما لا يحصى من آلاف الملائكة، وإنما الرجل من ينصرف من صلاته ولا ينصرف معه أحد، وإنما الرجل من يتردد في معرفته بربه بين حزن وسرور، وفي توحيده بين أنس ووحشة وفي عبادته بين إخلاص وشرك، وفي معاملته بين حسن وقبيح، وفي خوفه بين جمع وفرق، وفي مشاهدته بين منّة وكسب، وفي صبره بين رخاء وشدة، وفي شكره بين نعمة ونقمة، وفي رضاه بين تعمُّل وقسمة، وفي حياته بين صدق وكذب، وفي دعائه بين رهبة ورغبة، وفي إيمانه بين نفي وإثبات.

وقال: إن من عباد الله من يفتح عينه فلا تقع إلاَّ على الله، وسمعه فلا يسمع إلاَّ كلام الله، ولسانه فلا يتكلم إلاَّ بالله، ومع هذا فليس بذلك الرجل، فقد يكون من هذا حاله في نتائج الزوائد.

وقال: من صحت نافلته فقد كمل.

وقال: المعرفة والسرور لا يجتمعان في أحد ما دام في الدنيا، أبداً، والمعرفة والحزن لا يجتمعان في الآخرة في أحد أبداً، ولولا التكليف لحصلت المعرفة والسرور في الدنيا.

وقال: ما دام الرجل في هذه الدار فهو على قدم الخطر، لأن الأمر الشرعي يخاطبه بالتكليف الذي هو العمل في كل حال ولو بلغ ما بلغ، لأنها دار المكر والتبديل، ولو بشر فإن الأدب يمنعه.

وقد ذم الفرح فيها لعدم تحقق أسبابه من جميع الوجوه، فإذا انتقلنا إلى دار التمييز والتخلص، تراءى الجمعان، وتميز الفريقان، وانصبغ من انصبغ في الفضل.

ويمنعه من الفرح فيها ما في طي الأمر من طلب القيام بحقوقهما، فلا يتفرغ للفرح بهما مع شغل القلب بأداء حقوقهما.

وهنالك ليس كذلك: فكيف يسر العارف بالمعرفة هنا، وفي الأمر ما ذكرنا.

وقال: ليس لرجال الله همّة مولاهم، ولا نية ولا إرادة ولا عزم، ولا هاجس ولا قصد، وفي الهاجس خلاف ذوقي.

وقال: المشرك هو المأمور أن يعبد الله مخلصاً، وغير المشرك يعبده فقط.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن خضر بن عبد الوهاب

قال: الرجل إذا قال: أنا، كان كما قال.

وقال: اللدنية حجاب.

وقال: العندية حجاب، والغض اللدن المائس، وكل علم يضرب به الميل فغير مخلص، بخلاف من ضرب باليد فعلم علم الأولين والآخرين وهو العلم الصحيح الذي لا ميل فيه، وما شهدنا إلاَّ بما علمنا، ألا تراه كيف قال لموسى عليه السلام: «أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله، لا أعلمه أنا»[1]. فقد تساويا، وعدمت الفضيلة.

غير أن الرسل مأمورون بالزيادة من العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فوجب عليهم الطلب، فاندرج الخضر في موسى، بقدر ما تعلم منه. ولم يحصل للخضر ذرة من علم موسى.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب طوفان من السيل، حديث رقم (٣٢٢٠) ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكر وصف حال موسى حين لقي الخضر... حديث رقم (٦٢٢٠) [ج١٤ ص١٠٤]. ورواه غيرهما.

وقال: ثلاثة لثلاثة: السفينة المخروقة في البحر نظير التابوت في اليم، وقتل الغلام نظير قتل القبطي، وإقامة الجدار من غير أجر نظير سقي غنم الجاريتين بماء مدين من غير أجر ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾ [الكهف: ٨٢] زبدة الحديث، فليته صبر.

وقال: امتثل الخضر طاعة موسى لمعرفته بمنزلته، وإن لم يكن تحت حكم شريعته، ولكن الأدب لازم حيث نهاه عن الصحبة إن وقع السؤال الثالث فوقع فكان الفراق، ولم يقل في ذلك موسى شيئاً، فلو لم يكن مقصوداً لموسى ذلك الخطاب لاعتذر. ولاستدرك الأمر. قال محمد ﷺ: «ليت موسى سكت أو صبر»(١) يعني ليته لم ينهه عن صحبته حتى يقص علينا من أخبارهما، وكان ما أراد الله تعالى من الفراق، وكان الخضر قد أعدّ له ألف مسألة، كلها اتفقت لموسى، وكلها ينكرها عليه.

تمّ الجزء الرابع، ويليه الخامس

الجزء الخامس

من كلام العبادلة في الحقائق
بألسنة الأسماء

في هذا الجزء

عبد الله بن عبد الحميد
وابن عبد الغفار
وابن عبد اللطيف
وابن عبد الغفور
وابن عبد القائم
وابن عبد القوي
وابن عبد الصادق
وابن عبد الحليم
وابن عبد الشهيد
وابن عبد الودود

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن صالح بن عبد الحميد

قال جابر: سينا محل الفتنة ارتفع الستر، وطلعت الشمس، فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]. فأبلغا جابر: فينا. غربت الشمس عندهم. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]. إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً، ميزان صحيح. ومعرفة تامة، وبشرى مثل هذا إلى الخاتمة وإلى الخير ما لهما، لأنه أخذ أن يتخذ فيهم حسناً، وبهذا يفضل أهل المغرب على أهل المشرق، والقسمة من البيت العتيق.

وقال: ليس عند الرجال تمييز، يبثون المعارف، ولا يخصون بها أحداً، لعلمهم أنه ما يأخذ منها أحد إلاَّ على قدر ما هو أهلاً له، وذلك هو الفهم عن الله تعالى، ولا يبالون بمن ضلّ فيها ومن اهتدى تخلقاً إلهياً.

القرآن كلام الله، وهو العلم الكامل الحاوي على جميع معارف العارفين وأضل به كثيراً، وهدي به كثيراً، فيكون البر والفاجر، ولا ينتفع به إلاَّ البر الرحيم، فالرجل مبسوط في العلم أبداً، لا قبض عنده في علم بالنظر إلى غير قابل.

ينزل المطر.. تنبسط الشمس.. فلا ينحجب عنها إلاَّ المحجوب. فليس في حقها منع، وإنما المنع فيك.

فمن تستر بالسقف والجدران، حرم فوائد الأمطار والأنوار، فالنكاح للمطر، وتفتح الروح للشمس.. فتضع الأرض حملها. من زهر متنوع الأعراف. وعقد ثمر مختلف الأصناف.. فربى متوجة.. وأهضاب موردة.

وقال: من رجال الله من يضحك ولا يبكي، ومنهم من يضحك ويبكي.

وقال: الدموع دمعتان: دمعة فرح، وهي من برد اليقين باللقاء، ولذلك تخرج باردة، ودمعة حارة، وهي دمعة ترح للمحزونين وتتفاضل درجاتهم بتفاضل المحزون عليه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إليسع بن عبد الغفور

قال: حشر العارفين عند موتهم، وحشر العامة عند بعثهم من القبور فحياة العارفين متصلة لا موت فيها، وحياة العامة رجوع بعد مفارقة، فقد تكون عين المفارق، وقد لا تكون. فإن آفات الفرقة كثيرة.

وقال: تنقضي أعمار العرّافين وهم مع الحق على أول قدم منهم، فلم تفِ لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم، من إقامة حقوق الحق التي عليهم، فهم في الغيب مشهودون، وفي الشهادة مغيبون، فهم ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وليس وراء الألف مرتبة، فإنها آخر مراتب أسماء الأعداد ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدّخان: ٤].

وعن العارف ظهر هذا الفرقان في العالم والروح، نزل به الروح الأمين على قلبك. تنزل الملائكة كذلك على قلب العارف تنزل الملائكة بضروب الأوامر، فإذا طلع الفجر زالت ليلة القدر، وبقي القدر، فصار نوراً كله بعدما كان ذا وجهين.

وهنا أسرار لأهل الله مصونة من أعين الأغيار. آه. آه. آه. إن إبراهيم. لحليم أواه.

وقال: إن من عباد الله من لم يبق له إلى الله حاجة، لعلمه بأنه أعلم بما له فيه الخير منه.

وقال: حاجة الكون إلى الله ذاتية، فلا يعين حاجة بعينها.

وقال: أي عبد عين حاجة إلى الله بعينها فقضاها له زالت عبوديته إلى الله، وفقره إليه من حيث تلك الحاجة، وهو مقام خطر، وفيه قال عزّ وجل: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس: ١٢].

وقال: الرجل من ألقى بنفسه بين يدي من هي نفسه له، فإذا ولاه الحق عليها بتوليه إياه فيكون معاناً مؤيداً.

أو إذا ولاّها على غيره هذه الولاية بضرب تعمل منه، وطلب من الله ذلك، فربما خذل عن إقامة العدل فيها.

وقال: لله حق على العبد يطلبه به، وللعبد حق على الله جعله له عليه يطلبه به، فمن ترك طلب حقه من الله تعالى، ترك الله تعالى طلب حقه منه، فتظهر الأعمال من العبد من غير اقتضاء حق، فيكون العبد في عمله بحكم التصريف الإلهي.

وقال: المعرفة موجبة أداء الحقوق.

وقال: النظر إلى الحق من كونه هادياً يؤدّي إلى التسليم.

وقال: لا يطلب الرب إلاً العبد، ولا يطلب الجزاء إلاً الأجير، وفي الحق كفاية.

وقال: للمعرفة إرادة، وللإرادة طلب، وللطلب وجود. وعند الوجود يقع الاكتفاء والاستغناء عن الغير.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الحكيم

قال: تحقيق الأمر عند العلماء التفاف الساقين، وهو العشق، وصفاء الأمر وهو الحب، وثباته وهو الود.

فإذا ثبت هذا كانت الطاعة على غير عوض، فانقطعت العلائق عن قلبه، وذهبت العوائق من سره، وانتشرت أنوار السبحات على ذاته، وقوي بصره بنور إلهي ليكشف به في ذلك النور كان غطاه عنه غطاؤه من عظمة الربوبية.

وقال: لا تخلص السجدة لله إلاً من قلب ساجد، فمن لم يسجد قلبه لم تصح له سجدة أصلاً.

وقال: إن من عباد الله من لا يذوق حباً لله إلاً ببغض ما سوى الله تعالى، ومنهم من يحب الكون بحب الله سبحانه.

وقال: في الأنس بغير الله استيحاش من ذلك الغير منك، وهي غيرة إلهية عليك. وفي الأنس بالله قرب الله منك، ووصله إياك، فلتأنس بهذا ولا تأنس بغيره.

وقال: صاحب السبب مضطرب. وهو عابد وثن.

وقال: حب الله تعالى من العلم، وحب الله ورسوله من الإيمان، والحب من حيث الإيمان أتم منه من حيث العلم. وإن كان الإيمان علماً بطريق ما.

وقال: كما تدين تدان. فاذكر الله سراً يذكرك سراً، وعلانية بعلانية، وطاعة بطاعة وأنساً بأنس، وحباً بحب، ورضاً برضا، وأمراً بأمر، وكل شيء بمثله.

وقال: التذكر من النسيان لا الذكر.

وقال: الكتب قيمة بالصحف المطهرة، تتلوها ألسن العصمة.

وقال: القراءة بالاسم الخالق.

وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان ١، ٢] بأي قلب يكون، وعلى أي قلب ينزل.

وقال: الميزان الموضوع في الأرض هو الشرع، وأنت لسان ذلك الميزان، فلأية كفة ملت كنت لها.

وقال: لا يتقرب بالأعمال إلاَّ للعامل فتحفظ فقد نبهتك.

وقال: ليس العجب من التحف والزوائد والطرف على قلوب العارفين إنما العجب من قبولهم إياها مع أنهم لا يطلبون سواه. نعم يقبلونها من كونهم خزنة عن أمرٍ لهما، وقد عرفوا أنه لا يُنال.

وقال: الوقوف من الحق سلب الحكم.

وقال: مواقع النجوم قلوب العارفين، ومشارق الشموس أسرارهم، ومطامع البدور حقائقهم، وأقمار البدور توسط حال، وإهلالها بقاياهم معهم، وأنوار البروق تنزل رحمة عرشيته إلى كرسي مجيد.

وقال: من كانت له وثيقة على غريمه استراح وارتفع الحرج عنه، ولو كان الغريم عديماً فلا بد له من سلطان عليه، وهو المطلوب.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن داود بن عبد الغفار

قال: العيش مع الله هو القوت الذي من أكله لا يجوع.

وقال: من يأنس بالله لم يستوحش من شيء.

وقال: العبد مطلوب من حيث معناه، لا من حيث صورته، فصورته نكرة، ومعناه معرفة، ولكن عند الخلق. وهو عند الله مطلوب من حيث المعنى والصورة. وقد ينضبط المعنى بالصورة، وقد لا ينضبط.

فالذي انضبط معناه بصورته دون الذي لم ينضبط، فإن الوجه أوسع.

وقال: للخلق مراتب في رؤية الحق، فرؤية لا ترى بها سواه، ورؤية تراه بها قبل كل شيء، ورؤية تراه بها بقدر كل شيء، ورؤية تراه بها مع كل شيء، ورؤية تراه بها بعد كل شيء، ورؤية تراه بها في كل شيء، ولها مراتب في القرب والمعرفة.

وقال: خطاب الحق لعبده لا إجمال فيه ولا تفصيل.

وقال: في معرفة الألوهية أنت الأصل، وفي عين الوجود هو الأصل، ومعرفة الذات لا أصل لها ولا فرع.

وقال: الصنعة واحدة، والاختلاف في الموضوعات.

وقال: إياكم والاغترار بصفاء الأوقات، فإن طيها آفات لا يعرفها إلاَّ من أشهده الحق إياها.

وقال: براءة من الله ورسوله لما وقع الاشتراك مع الرسول بالعطف، لذلك كانت من الله، ولو لم يقع الاشتراك لم تصح البراءة، لأنه بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وإليه يرجع الأمر كله، وهو الفاعل لكل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وقد يصح من طريق الأسماء.

وقال: لا يرى من ليس كمثله شيء إلاَّ من ليس كمثله شيء.

وقال: تفقد القلب من علامات التيقظ.

وقال: تغلب هيبة الله تعالى على القلوب، بحيث لا تظهر عليه حركة عبادة أصلاً ولا عادة، وقد مكث أبو يزيد البسطامي أربعين يوماً ما صلّى من هيبة الله حتى

سأل ربه أن يرزقه من الغفلة قدر ما يؤدّي به الصلاة. وقعد بعض شيوخنا سبعين يوماً ما صلّى أو أكثر في هذا المقام. ولقيت رجلاً من أهل الحديث استولت عليه العظمة، بحيث أنه كان يدير النخامة في فيه، ولا يقدر أن يرميها من هذا المقام، لأنه كان لا يرى شيئاً خارجاً عنه.

وقال: كل بلاء أهون على العارف من صلاة ركعتين مع هيبة، بل إذا استحكمت منه تحول بينه وبين الحركة. والصلاة حركة.

وقال: صحبة الله بالحرمة والحياء.

وقال: قدرك عند الله قدره عندك. ورأيت رجلاً بإشبيلية قد سأله مسكن معروفاً لله تعالى، فأخرج من جيبه كيساً فيه قطع من الفضة، بين صغار وكبار. فأخذ يفتش عن أصغر قطعة فيها، حتى يدفعها للسائل، وكان معي رجل صالح يقال له «الحاج بدور بن يوسف»، فقال لي: يا ابن أخي، تعرف على ماذا يفتش هذا؟.

قلت: لا. قال: هذا سئل بالله، فأخذ يفتش على قدره عند الله، فعلى مرتبته عند الله يفتش.

ثم رد وجهه للمعطي، وقال له: على قدر ما تهب لوجه الله تعالى يكون وجهك عنده، فكبر أو صغر وعظم أو حقر.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن لوط بن عبد القائم

قال: المنعة مشروعة، فاتخذ ملجأ تستند إليه من زمان قصة لوط، حيث قال: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هُود: ٨٠]، يعني من القبيلة «ما بعث نبي إلاّ في منعة من قومه».

قيل: «ذل من ليس له سلطان يعضده، وإن كان ظالماً، وضلّ من ليس له عالم يرشده وإن كان فاسقاً».

وقال: إذا امتلأ العبد بربه سروراً يعظم حتى لا يسعه شيء، وإذا امتلأ منه حياء دق حتى هو لا يبين منه شيء.

وقال: كن عرش الكائنات.

وقال: لولا أنت لكان هو، ولولا هو لكنت أنت، وهو لا تجتمع.

وقال: إن من عباد الله من أطلع على كيفية تدبير الأمور الإلهية الجارية في الكون، وكيفية تقدير المقادير بجريان القضاء فيها، وكيفية خلق المخلوقات من غير ممازحة ولا معالجة.

وقال: رجال الله على قسمين، وهما: أصحاب أنوار إلهية، اطلع الحق على أسرارهم من غيب الغيب، ومن عين ملك الملك، فأشرقت بنور ربها.

ومنهم رجال ظهر من تلك الأنوار على ألسنتهم ما ظهر، فأولئك الذين يقتدى بهم.

ومنهم رجال ظهر عليهم في أحوالهم من تلك الأنوار ما ظهر، فأولئك الذين يهتدى بهم، لأن النور في هؤلاء مشهود لك، فتهتدي به في ظلمات بر ملكك، وبحر ملكوتك.

وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]. فإنه حصل له من طريق السمع. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشورى: ١٣] و﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ﴾ [النحل: ١٢٣].

وقال: من اعتصم بحبل الله أوصله الحبل إليه، ومن اعتصم بالله تنزل الحبل إليه.

وقال: الناس كلهم متعلقون بالقرآن، وإن من عباد الله من تعلق بهم القرآن.

وقال: إن من عباد الله من يقبلهم الحجر، وتطوف بهم الكعبة. وقد رأيت ابن أبلج والكعبة تقبل رأسه.

وقال: في الناس من إذا صلّى وسلّم من صلاته، ما تشتهي صلاته مفارقته، حتى يرفع بها إلى عليين.

وقال: الحج فرض على الناس كلهم، إلاَّ على أهل مكة، فإنهم فرض على الحج.

قال: إذا شرع الإنسان في العمل فهو بين القبول والرد، فإما وإما.

وإذا رمى العبد نفسه بين يديه وطرحها عند بابه فقيراً ذليلاً، فهو مرحوم بلا شك.

وقال: الفقر من الله ذل لازم، والفقر إلى الله عز دائم، فالفقير من الله خائف من كل شيء، والفقير إلى الله ما عنده خير من شيء.

وقال: إذا أشرق القلب بنور الرب باتت الأعمال محصاة في إمام مبين، وقامت الحجج لأصحاب الحقوق على غرمائهم، فتلك قيامة العارفين قد قامت، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هُود: ١٧].

وقال: إنما كان لجهنم سبعة أبواب، فإن الأمور الموبقات سبعة، لكل باب منهم جزء معلوم. والباب الثامن لها مغلق، ولذلك لم يذكره، لأنه غير مسلوك، وهو الحجاب الذي لهم عن ربهم يومئذ.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن جرجيس بن عبد الشهيد

لما قال القائل، وهو الحلاج:

يـا كـل كـلـي فـكـن لـي إن لـم تـكـن لـي فـمـن لـي
مـا لـي سـوى الـروح خـذهـا جـهـد الـفـقـيـر الـمـقـل

فقال لي الآخر: وهو أب الحجاج يوسف المبتلي الدباغ الرباطي القرطبي، بحضور مشايخ كانوا عندي، وكان الوقت قد طاب لهم، فقال: يا أخي ليس هذا بشيء. فقلت له: يا أبا الحجاج، رد عليه. قال: أسمع ما قلته أنا. ثم أشعرني مرتجلاً في الحال:

مـن الـغـرائـب إنـي أهـديـت بـعـضـي لـكـلـي
مـا لـسـت أمـلـك أهـدي فـعـل الـحـبـيـب الـمـدل

فقلت له: لا فض الله فاك. ولنا من قصيدة في هذا المعنى وهو هذا:

كـيـف أهـدي لـكـم الـروح وقـد صـح بـالـبـرهـان أن الـكـل لـك

ولما قال القائل:

فالليل إن وصلت كالليل إن هجرت أشكو من الطول ما أشكو من القصر

فقلت: والله ما أحسن هذا في قوله، ولو قال مثلما قلت:

شغلي بها، وصلت ليلاً وإن هجرت فما أبالي أطال الليل أم قصرا

ولما قال القائل:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرّني أني خطرت ببالك

فقلت: ما هذا بشيء، ولو قال مثل ما قلت:

لئن سرني أن نلتني بمساءة فما كان إلاَّ أن خطرت ببالك

ولما قال القائل:

ولقد هممت بقتلها من حبها حتى تكون خصيمتي في المحشر

قلت: هذا لا يحسن، لأنه جعل الحق لها، فربما لا تطالبه لبغضها فيه.

فلو قال:

ولقد فرحت بظلمها من حبها كيما تكون خصيمتي في المحشر

وقال الشريف الرضي في هذا الباب:

أنت النعيم لقلبي والعذاب له فما أمرك في قلبي وأحلاك

وقال صاحب «محاسن المجالس»:

فهل سمعتم بصب سقيم طرف سليم
منعم بعذاب معذب بنعيم

وقال أبو يزيد البسطامي:

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

ولنا تتميم نصف البيت الأول:

أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للثواب

وقال:

عجبي والله من مسألة أعرض العاقل عنها وسلك
صح أن الحق أسرى ليلة بنبي وبراق وملك

وعــلا الأفــلاك فــي دورتــهــا ... ووجـود الـكـون فـي دور الـفـلـك
وهـو لا يـسـكـن فـي تـحـريـكـه ... بـطـل الـتـأثـيـر وقـتـاً وهـلـك

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن زكريا بن عبد اللطيف

قال: الغيرة على الله تعالى ليست من صفات الرجال، ولكن من صفاتهم الغيرة لله، والغيرة في الله، والغيرة من الله وإن كانت من صفات الرجال، فهي دون هاتين.

وقال: الصبر على الله تعالى من أعظم الصبر، كما تقول: أخذت العلم عن الله، ليس من الأجل، وهو أن ينسب الصبر إليك نسبته إليه، وعند ذلك تكون النيابة حقاً، والحرفة صرفاً.

وأما الصبر عن الله بمن حبس النفس عن الله بما يكون فيها من المخالفة التي هي سبب البُعد والطرد والحجاب، وليس ذلك بتحقيق الصبر من الله، وأن ذلك تحقيق صبرك عما فيه نعيمك ولذتك، فإن مرجعك إلى الله وبالله، فلا مفارقة عين، ولكن نعيم وعذاب. فإن تشهده منعماً شهدته معذباً.

وقال: لما تعلقت الهمة بزكريا لطلب الولد، من أجل قرة عينه بمريم، واستفراغ سره في مشاهدة حالها، وكانت كاملة بتولاً، كان يحيى سيداً وحصوراً، مطابقة.

وقال: إنما كانت الشيخوخة والطفولة مرحومتان عن الخلق، منظوراً إليهما بعين الرحمة والشفقة والرفق من جانب الحق، للضعف الذي بهما.

ونحن بالشيخ أشد رحمة في هذا الباب، لأنه صاحب ضعف وشيبة، وعدم المربى بما ينبغي، فإن تربية الشيخ مستقذرة، تنفر عنها الطباع، بخلاف تربية الطفل.

فالطفل موقى، والشيخ مسموع منه.

وقال: الشيخ الضعيف المؤمن ألبسه الله سبحانه وتعالى خمسة أثواب بعضها فوق بعض.

فالذي يلي بشرته وهو شعاره، ثوب الصيانة، ثم ثوب العناية ثم ثوب الولاية، ثم ثوب الهداية، والخامس هو للزينة، ثم ثوب الحماية والكفاية.

ثم يغمس في الرحمة غمسة، فلا يبقى عليه من درن المخالفة شيء، فيخرج نقياً تقياً طاهراً مطهراً.

ولا يبقى له من العمل إلاّ هذا الذكر الخفي، وهذا من الرحمة بالضعيف.

وقال: إذا غلب الإنسان حكم الهرم يضعف عن الحركة، فتقوم الخطرة من الذكر منه مقام عبادة العمر، لأن الآخرة له مشهودة.

وقال: ليس شيء أعز على الله من أوليائه، ملكاً كان أو بشراً، أو جناً، ثم هم في الولاية على طبقات.

فمنهم رسل، ومنهم أنبياء، ومنهم أهل حديث، ومنهم أهل مسامرة، ومنهم أهل مواصلة، ومنهم أهل مؤانسة، ومنهم ومنهم.

وقال: المرآة من حيث هي مرآة لا تزال محلاً للتجلي، وإن كانت صدئة تجلى فيها صداها، فجلاؤها عبارة عن إزالة صورة الصدأ عنها، لتتجلى فيها صورة الرائي وغيره. فهي بجلائها صقيلة أبداً، وتختلف عليها صورة المتجليات، لأنها مرآة، وأكثر الناس لا علم لهم، وإذا لم تكن مرآة فهي قطعة حديد لا غير.

وكذا صدأ مرآة القلب إنما هو ظهور صورة الأكوان فيه. فإذا أميطت عنه هذه الصورة بالذكر وبالمعرفة، وهي أحسن من الذكر وأحلى، كما ورد في الخبر: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد». قيل: فما جلاؤها؟ قال رسول الله ﷺ: «جلاؤها ذكر الله وحده»(١).

وقال: اتل القرآن من حيث ما هو كلام الله تعالى، لا من حيث ما تدل عليه الآيات من الأخبار والأحكام فإنه الران.

وقال: أنت مجلى الحق الذي وسعه حين ضاقت الأرض والسماء.

وقال: مرآة القلب لا جهة فيها، فلذلك هي مجلى الحق سبحانه، الذي لا يتصف بالجهات.

* * *

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، باب إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، حديث رقم (١١٧٨) [ج٢ ص١٩٨] ولفظه: بن صالح الأشج ثنا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد عن أبيه عن نافع عن بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: «ذكر الموت وتلاوة القرآن».

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن موسى بن عبد القوي

قال: شخص كل شيء ذاته، فليطلق هذا الاسم على كل ذات بحسب ما هي عليه، وليس هو حقيقة في شيء، مجازاً في غيره.

وقال: ما ثم مجاز أصلاً. الكل حقيقة.

وقال: صورة كل شيء حقيقة مثل الشخص ما هو مجاز في أمر ما من الأمور. فقال: أخبرني بصورة الأمر. فقال: القديم ثبات الألوهية، والصورة ما تظهر فيه للأبصار عند الكشف، والساق شأنها وأمرها، واليد تصريفها، والعين حفظها.

وقال: وقوفك معك حجابك عنك، فلو زلت عنك لرأيتك.

وقال: كن مع الله كما هو الله معك، تكن أنت أنت، وما يخبرك به فخذ ما لك، وافهم ما له، وافهم لأي شيء أخبرك عنك وأنت تعلم خبرك.

وقال: حضرة الخيال أوسع الحضرات، فإنها تعم كل شيء، تارة بحكم المطابقة، وتارة بغيرها، ولذلك ترى ربك في النوم وجميع المعاني، وفيها قال: «اعبد الله كأنك تراه»[1].

وقال: حضرة الخيال تجسد المعاني، فإنها لا تقبل شيئاً ما لم تصوره بصورة، فإذا جعلته صورة قبلته.

وقال: من خرج من حضرة خيال علم، لم ير ولم يسمع حيثما كان.

وقال: الحضور مع السوابق يرفع اللوم عن اللواحق حقيقة، فيكون في اللوم حاكياً، وفي رفع اللوم محققاً، وهذه المرتبة من قوى الإيمان.

وقال: لا تنال الأرواح إلاّ بذهاب أرواح، لأن قيمة كل شيء مثله.

وقال: من لزم التقوى والآداب لم يكن لأحد عليه حق في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال: الرياء جهل، سواء نسب المرائي فعله ذلك لنفسه، أو نسبه لله تعالى.

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

وقال: الصادق في توبته علامته ألا يذكر ذنبه، لأن التوبة لا تبقي له وجوداً، إذ قد بدل بالنص المعصوم، فأي ذنب هناك حتى يشهد المكلّف؟ فمتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة، وإيمانه مختل بلا شك.

وقال: متى ما ذكر العبد ذنبه، ولم تظهر عليه حالة من حلت به عقوبة الذنب فما هو تائب، وإنما هو مستحل لما ذكر. واستحلاء الذنب أشد من الذنب بما لا يقارب. وهو حجاب عظيم بين الله تعالى وعبده، ويخاف عليه لعدم حرمة الحق تعالى عنده.

وقال: عندنا إن جميع المخالفات كبائر، فإن الذي يعصي بها واحد إذا نظرنا من خولف بها، ومن نظر إلى الحدود عليها جعلها كبائر وصغائر.

وقال: التوبة لا تصح ما لم تعم، فإن خصصت فهي ترك لا توبة.

وقال: التمني تعطيل الوقت، وقد قلنا في ذلك من قصيدة:

خرج التوقيع لي بالأمان ... فلتحاذر غائلات الأماني
ينقضي الدهر ولا شيء منها ... حاصل قد ملكته اليدان

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن داود بن عبد الودود

قال: الطرق إلى الله على قدر الرجال، والرجال على قدر المعارف والمعارف على قدر السلوك، والسلوك على قدر الطرق، والطرق على قدر الرجال.

وقال: إجهد أن تعرف من أين جئت، وكيف جئت، تعرف من أين ترجع، وكيف ترجع.

وقال: ما دامت عقول الأمزجة باقية فالتكليف قائم، فإذا غلبت العقول الإلهية ارتفع «فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك».

وقال: الله، الله. التسليم لأهل هذه الطريقة، المنتسبين إلى الله تعالى فيما يظهر عليهم من المنكرات بالنظر إليك، فإن في ذلك نجاتك، لأن الذي انتسبوا إليه قادر على قلب الأعيان، والأخذ بالأبصار عما هو المشهود عليه، أين درجة من جبريل فانظر. وإن ذلك ليبلوك أتؤمن أم تكفر، والعاقل كأنه لم ير، باق على الأصل، فانظر في العموم من حيث هو لا من حيث هم تسلم.

وقال: واجب على كل من طلب الحق تعالى أن يلزم الحق.

وقال: خلق الله عزّ وجل الخلق لينظروا إلى قبائح الدنيا، ومحاسن الخلق. فيؤديهم إلى الزهد في الدنيا، وحسن الظن بالناس فعكس الناس القضية، نظروا إلى محاسن الدنيا، ورغبوا فيها، وإلى قبائح الناس فاغتابوهم ومقتوهم.

ومن حصل له ذلك التنزيه من جانب الحق يجد له حلاوة ما رآها قط، وتورث عنده سكراً. وهذا المقام لما ذقته بدمشق أشهد لقد بقيت في لذاته كالسكر أياماً كثيرة.

وقال: إن الله طلب المؤمنين ليؤمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل قبل، فماذا كان الإيمان الذي كانوا عليه حين خاطبهم بأن يؤمنوا؟.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن محمد بن عبد الصادق

قال: الصادقان مثلان، والمثلان لا يجتمعان.

وقال: الذكورية أصل في الإيجاد الإنساني، فهذه درجة السببية التي للرجال على النساء.

وقال: نهر طالوت نهر بلوى، فهو نهر الدنيا، من أخذ القوت منها لم يتعد، فتلك الغرفة إذا اغترفها كسباً بيده، فإن تجرد عن الكسب فهو قوله: «فمن لم يطعمه فإنه مني».

فقوت المتجرد ليس من الدنيا، لأنه ما أخذ من النهر شيئاً، فما أحسن هذا التنبيه الإلهي!!.

ومن شرب وأمعن فيه زائداً على الضروري في الكسب فليس مني. وليس على المتجرد تقييد في الاتساع من فضل الله، فيشرب ويروى من جود الله الحق، الذي لم تدنسه أيدي المحدثات بالكسب.

فمن فهم هذه الإشارات علم ما بين الرزقين. وأدرك الفضل بين النوعين. الكلب إذا أكل من صيده فلنفسه سعى، فيحرم الصيد لذلك على المرسل وأنت

المرسل جوارحك في الكسب، فإذا أكلت منه حرم عليك مع نقصان مرتبة، وتحجير للحلال المحض الإلهي عليك. فمعنى حرام: مانع بينك وبين من أكل من يد الله.

وقال: لما غلبت الكثافة على غير الأمة المحمدية صار تنزل المعاني عليهم في صورة الحس، لطمس قلوبهم وعيونهم عن إدراك الحقائق على ما هي عليه، ونزلت على الأمة المحمدية على ما هي عليه في نفسها.

ألا ترى إلى السكينة نزلت في قلوب المؤمنين فانتفعوا، ونزلت على من تقدم في صورة ثور محمول في تابوت، نظير قلب المؤمنين. ليس في قلوبهم منها شيء. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. وقال فينا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [الفتح: ٤] بفضلهم على غيرهم من الأمم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤]. نظير قوله: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

انتهى الجزء الخامس، والحمد لله وحده
ويتلوه النصف الثاني من كتاب العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء

القسم الثاني
من كلام العبادلة
في الحقائق بألسنة الأسماء
في هذا القسم

عبد الله بن عبد القدوس
وابن عبد الكريم
وابن عبد الحكم
وابن عبد الوارث
وابن عبد المحيي
وابن عبد المعطي
وابن عبد الباري
وابن عبد القابض
وابن عبد الحسيب
وابن عبد المتين
وابن عبد المغني
وابن عبد المصور
وابن عبد الوهاب
وابن عبد المعز
وابن عبد الباعث
وابن عبد المعيد
وابن عبد الهادي

وابن عبد المتكبر
وابن عبد الفتاح
وابن عبد المقيت
وابن عبد الوكيل
وابن عبد المقسط
وابن عبد الصبور
وابن عبد القهار
وابن عبد الخافض
وابن عبد المجيب
وابن عبد المبدىء
وابن عبد النافع
وابن عبد المؤمن
وابن عبد السخي
وابن عبد الحفيظ
وابن عبد الحق
وابن عبد القيوم
وابن عبد الرشيد
وابن عبد الدهر

وابن عبد الغفار
وابن عبد الرفيع
وابن عبد الرحيم
وابن عبد المحسن
وابن عبد الضار
وابن عبد السلام
وابن عبد الجواد
وابن عبد الخبير
وابن عبد الشهيد
وابن عبد المميت
وابن عبد المانع
وابن عبد المصور
وابن عبد الباسط
وابن عبد الجليل
وابن عبد الولي
وابن عبد البديع
وابن عبد المتعالي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن أيوب بن عبد القدوس

قال: الطهارة شرط في صحة الصلاة، فهي شرط في آداب المناجاة: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢]، فأمر بخلع النعلين فيها، فمن كان موسوياً خلع نعليه، ومن كان محمدياً مسح على نعليه.

وقال: المؤمن طاهر بالذات، وما ثم إلاً مؤمن، والمشرك نجس بالذات، فما ثم إلاً مشرك، فالنجاسة على قدر الشرك، والطهارة على قدر الإيمان.

وقال: طهارة القلب من التقليب، وطهارة العقل من التقييد، وطهارة النفس من عينها، فمن لا نفس له لا قلب له، ومن لا قلب له لا عقل له: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقال: طهارة الحضرة الإلهية من حيث ذاتها تنزيه، وطهارتها من حيث أسمائها تشبيه.

وقال: القدوس الطاهر، وغير القدوس على خلق سيده.

وقال: الطهارة عامة وخاصة، فعامة الطهارة من حيث كونك نسخة من جميع العالم. والخاصة ما تخص ذاتك من حيث إنك مخاطب بما شرع.

وقال: طهارة الماء طهارة الأبدان والأثواب، وطهارة العلم طهارة القلوب.

وقال: لا تطلب الطهارة إلاً لإزالة الأدناس، وكل ما سوى الله دنس.

وقال: من التفت إلى غير الله بالله وجبت عليه طهارة ما التفت به إلى غير الله.

وقال: ماء البحور طهور، وميتته حلال.

وقال: طهارة الأسرار ذاتية، وطهارة الطبيعة طهارة عرضية، فقدس طبيعتك فإن سرك مقدس، وتحصيل الحاصل تضييع للوقت.

وقال: كل طهور طاهر مطهر، فإنه متعدي، وكل طاهر طهور، ولي الطهور إلاَّ ما خلقت منه، خلق الله تعالى الماء طهوراً، فأصلك طاهر من حيث روحك وأصلك دنس من حيث طبيعتك، فمن قدس طبيعته ألفها بالنفس الرحماني الإلهي، فالإنسان طاهر نجس والمؤمن طاهر كله، وكلتا يديه يمين إن كان مؤمناً، وإن لم يكن مؤمناً فله شمال ويمين.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن اليسع بن عبد السلام

قال: من اشترط في سلعته البراءة من كل عيب فما عرف، أما يعلم من كونها سلعة أنها محل العيوب.

وقال: المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، هذا عموم ظاهر الشريعة، وأما في خصوصها فالمسلم من سلم كل شيء من لسانه فيما يعبر عنه، ومن يده فيما له فيه نفوذ الاقتدار.

وقال: العبد إذا سلم من دعوى السيادة فقد سلم عما قيل فيه، فما قيل فيه عبد إلاَّ ليقف عند ما قيل فيه. في المثل: «ما هلك امرؤ عرف قدره» فمن عرف قدره ما تعدى طوره. فليأكل الحلال المحض بلا شبهة.

وقال: العبد المحض ظاهراً وباطناً من لا يملك شيئاً البتة، فإن ملك شيئاً نقص من عبوديته على قدر ما ملك.

وقال: السلام أمان، فمن سلم عليك فقد آمنك مما تحذره منه «تحية من عند الله مباركة طيبة». فالإنسان يسلم على نفسه.

وقال: لا تقل: السلام على الله، فإن الله هو السلام، فتجعله أجنبياً، وهو المسلم. سلام عليكم. السلام علينا، مشروع في التشهد في الصلاة، فأمنك به من نفسك لما كانت لله لا لك على أن في سلامك على نفسك إشارة إلى أن الله أقرب إليك منك ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

ولما خاف الإنسان من نفسه أن تورده الموارد المهلكة آمنك من ذلك في التشهد في الصلاة، فشرع لك أن تقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[(١)].

وقال: شرع لنا أن نسلم في الصلاة على النبي ﷺ لأجل رده ﷺ علينا، لأنه الظاهر بأسماء الله تعالى، فآمنك من اسمه المنتقم وأخواته من الأسماء بأضدادها من الأسماء الإلهية أيضاً وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرّعد: ٢٤] فجاء بباء السبب ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] أي رجّاع إلى ربه في كل حال.

وقال: كن وارثاً نبيك بأن تقول في السراء: «الحمد لله المنعم المتفضل»[(٢)] وفي الضراء: «الحمد لله على كل حال»[(٣)] واتبع ولا تبتدع، واقتد تهتد، ومن هدي فقد سعد.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن مؤمن بن عبد المؤمن

قال: من كان المؤمن كان عين نفسه.

وقال: المؤمن معطي الأمان، وإن النبي ﷺ يقول: «المؤمن من أمن جاره بوائقه».

وقال: المؤمن ناصح على الإطلاق، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال: المؤمن يمني لا عراقي.

وقال: المؤمن من أسمائه، فقد تسمى بعبده، لا، بل العبد تسمى به.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، حديث رقم (٦٣٨) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، حديث رقم [٥٥ - (٤٠٢)]، ورواه غيرهما.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير، من اسمه محمد، حديث رقم (٩٤٧).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر ما يجيب به العاطس...، حديث رقم (٥٩٩) [ج٢ ص٣٦١] ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء...، حديث رقم (١٨٤٠) [ج١ ص٦٧٧] ورواه غيرهما.

وقال: كما يصدق العبد ربه فيما وعده به، كذلك يصدق الرب عبده، فيما أتاه به، مما أمن أن يأتيه به.

وقال: المؤمن وجه بلا قفا، فمن أي وجه شاء أبصر، فله في كل جهة عين يبصر بها.

وقال: المؤمن منور الباطن وإن عصى، والكافر مظلم الباطن وإن أتى بكريم الخلق.

وقال: من تحكم في الإيمان وتصرف، فذلك الذي استحق اسم المؤمن، وليس إلاَّ الله تعالى لم يستطع النبي ﷺ وهو أكرم الخلق على الله أن يجعل عمه أبا طالب مؤمناً ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القَصَص: ٥٦].

وقال: من تحكم علمه فيه، كانت له الغلبة، وما في الوجود إلاَّ من يحكم فيه علمه ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفَال: ٦٨]. هذا تحجير إن فهمته.

وقال: من قال: أنا مؤمن إن شاء الله فما عرف الله.

وقال: لا تغتروا بالإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العَنكبوت: ٥٢]. فبالمجموع وقع الخسران.

وقال: المؤمن من كان مرآة يرى كل راء فيه صورته، ولا أحاشي، رأينا من رأوا.

وقال: من أسماء الحق ما إذا برأها الحق فيك أشقاك كالمضل.

وقال: المؤمن أخو المؤمن، فهو على صورته، وهو من الأسماء الإلهية.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد جابر بن عبد المتكبر

قال: التكبر من العبد خروج عن الأصل، ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل ٢٩].

وقال: من تعمل في تحصيل الكبرياء من غير تخلق فهو مذموم.

وقال: من تحقق بالتكبر فقد عرف نفسه، ومن لم يتحقق به فقد جهلها.

وقال: نسبة التكبر إلى الله من قوله: «مرضت فلم تعدني، جعت فلم تطعمني، ظمئت فلم تسقني».

وقال: كما جعل الله عبده نائباً عنه سبحانه وخليفته، كذلك جعل نفسه نائباً عن عبده، فمن عرف هذه النيابة كان عالماً بالله، ومن كان عالماً بالله كان عالماً بالأمور على ما هي عليه.

وقال: التكبر في الباطن جهل وشقاوة، وفي موطنه سعادة.

وقال: خلقت عبداً لتكون سيداً ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الرُّوم: ٥٤].

وقال: لولا الدعاوي ما خلقت المهاوي، فمن ادعى دعوى هوى فيها وإن كان صادقاً. ألا تراه يطالب بالبرهان؟ فلو لم يدّع ما طولب بدليل.

وقال: الإنسان عبد بالأصالة بلا شك، ومع هذا فإن ادعى العبودية طولب بشروطها، لأنه ادعاها في حال اتصافه بالقوة.

وقال: سعد من تجلى له الحق من مقامه، وشقي من تجلى له الحق أيضاً من مقامه.

وقال: نزول الحق إلى صفات الخلق ابتلاء منه ليبلو أيشكر أم يكفر، ويعرف أم يجهل.

وقال: إقامة الحق بعده في صفات سيده شقاوة به وإن لم يكن الميزان بيده، فإن الميزان يعرفه بما له وما له عليه.

وقال: ذلة العبد رجوع إلى أصله، وتكبره خروج عن أصله. ومن خرج عن أصله تعب.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن معتوق بن عبد الباري

قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] فالباري في الأرض خصوص خلق في نافع.

وقال: خلق الحشرات لإزالة الآفات، فإنها من العفونات.

وقال: إذا اتصف الهواء بالصفاء قلّ البلاء.

وقال: الله في السماء ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥] ولذلك قال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]. وفي الأرض (بارىء) والبارىء خالق عمار الأرض.

وقال: برأ الله خلق الأرض، وخلق عالم الأفلاك من الأملاك.

وقال: الباري غير مهموز: المعارض. يُقال: يباري الريح جوداً في سوقها الأمطار. بريت القلم أبريه برياً. إذ أصلحته لتكتب به.

وقال: العيسوي يبرىء الأكمه، أي يجعله ذا بصر. والأبرص. والبرص: ما يشين.

وقال: الباري من لا يكون علة لشيء، فبطل قول القائل: يا علة العلل، لأن العلة تساوي معلولها في الوجود «وليس الأمر كذلك».

وقال: العلل لو استندت إلى علة لكانت معلولة، ومن كان معلولاً قام به المرض، والمرض ميل عن الاعتدال إلى الانحراف.

وقال: من نظر إلى الأرض فقد نظر إلى نفسه، ومن نظر إلى نفسه فقد ذاق طعمها ومن ذاق طعمها لم يفلح.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن آدم بن عبد الصمد

قال: التصوير فرع، فمن وقف مع الصورة جهل الأصل.

وقال: من كنت على صورة رتبته ظهرت بصورته، ومن كنت على صورته لم يلزم أن تقوم بصورته خلقاً لا حقاً.

وقال: التصوير دليل على عدم المصور بالمراتب.

وقال: كل من صور صورة فقد قامت به تلك الصورة، وحينئذ ظهرت.

وقال: من وقف على جمعيته الكونية والإلهية فقد علم الصورة.

وقال: لا ينبغي أن يصور صورة إلاَّ من في قوته أن ينفخ فيها روحاً، كعيسى عليه السلام. ومن هذه الأمة يزيد البسطامي (رضي الله عنه).

وقال: الروح باطن مصور الصور، لأنه نفس، والصورة جزء لمن صورها إذا نفخ فيها روحاً، فإن فيها منه ما عدا الحق ومن نفخ بحق فليس بنافخ. وقيل: إن أبا يزيد قتل غلة من غير علم فأحياها بنفخة خوفاً من المطالبة، وذلك لعدم كشفه فلو كشف ما ثم ما رأى إلاَّ حياً بربه أو بطبيعته.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ [الانفطار: ٦، ٧]. فهذه صورة قائمة ظاهرة. ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨] عدلك وسوّاك، فإن الصورة المعدلة لا تقبل روحاً إلاَّ مشاكل مزاجها.

وقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [النحل: ٤] روحه فافهم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إلياس بن عبد الغفار

قال: من سترك من العقوبة فقد حماك، ومن الوقوع في المخالفة فقد اعتنى بك.

وقال: الستر صيانة بكل وجه وإن كان أمراً إضافياً.

وقال: لا يصح الحجاب عليه، وما ثم إلاَّ حجاب منه.

وقال: إسبال الستور يعطي الشعور.

وقال: هو الستار لا المستور.

وقال: ستره أنت فزل، وإذا زلت فلن ينكشف.

وقال: (وهو الظاهر) له ولك، (وهو الباطن) عنك لا عنه. (وهو الأول) بك (وهو الآخر) إذ كان عينك، وما زال عينك، فما زال آخراً، فأنت الآخر، والآخر تبع، وهو الأول وأنت تبع.

وقال: ما ظهر إلاَّ بك وأنت أخفيته، وإن زلت فلمن يظهر؟ فلا بد منك، ولا بد من فنائك عنك، لا فناء عينك.

وقال: ستور أسماء تسدل، وإيمان خلفاء تقبل.

وقال: ما ثم إلاَّ نواب وخلفاء، وما ثم نواب وخلفاء. على من؟

وقال: الحقائق عبادة وسيادة، فلا بد من عبد وسيد. لا تكون عبداً حتى يكون قواك وأعضاءك، ولا تكون سيداً حتى يكون الفعل منك. وذلك محال فافهم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن ناصر بن عبد القهار

وقال: من قهرك فقد أثبتك مثلاً. والمنصب لا يحتمل الشريك.

وقال: لا تنازع فلست بجامع، ولا تدافع فلست بمانع.

وقال: من قال: أنا، قهر، ولو قالها بحق.

وقال: لا تتعد طورك ففيه عزك.

وقال: ما يقهر القهار إلاَّ من ظهر بصفته، فنفسه قهر ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وقال: منا نازعك في صفاتك فنازعه في صفاته.

وقال: أنت الفقير وهو الغني، وقد طلب منك. وأنت أولى بالطلب منه.

وقال: لم تزل طالباً والمطلوب لم يزل. وما طلب منه إلاَّ ما هو عنده. فمن عزله عن ملكه فقد جهل.

وقال: القاهر فوق المقهور، ولكن في ذلك إثبات الدعوى، والدعوى قد تكون حقاً، وقد تكون باطلاً، فلا بد من دليل، فلا بد من مستدل.

وقال: من رسم عليك فقد شهد لك بالقوة ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١] يحفظونكم من أمر الله.

وقال: من كان محيطاً بكل شيء لم يترك مركباً ولا مفرداً.

وقال: الكل في قبضة القاهر، فلا تظاهر، فإنك الظاهر.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن موهوب بن عبد الواهب

قال: من وهبك الوجود فلنفسه وهب، ومن وهبك الإيجاد ـ أي أعطاك التكوين ـ فقد وهبك منعماً.

وقال: الهبة موقوفة على قبولك، فإن كان من وهبك عالماً فلا بد من القبول. وإن كان غير عالم وأنت محل فلا بد من القبول.

وقال: الهبة معلمة بحاجة من وهب، فالواهب يهجوك، وفي هجوه شرفك، إذا كان الحق هو الواهب.

وقال: لا تصح الهبة إلاً من غني مطلق، وليس إلاً الله.

وقال: الواهب لا يطلب العوض.

وقال: من أعطاك عن سؤال فما وهب لك. ومن أعطاك لتشكره فما وهب لك، ومن أعطاك ما تستحقه فما وهب، فأين الواهب؟ اسم على غير مسمى، ففك المعمى.

وقال: حاجة الموهوب له تطلب الهبة، لا واهباً بعينه، إنما يعين الواهب العلم لا الحاجة.

وقال: الواهب سيد محسان، فمن رد عليه هبته فقد أساء في حقه، وجهل قدر الواهب.

وقال: ما أتاك من غير مسألة فخذه وحوله، فإن رددته فقد جهلت الواهب ونسبته إلى عدم العلم بك، فاحذر كائناً من كان.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن خالد بن عبد الكريم

قال: من الكرم تفقد أحوال الإخوان قبل بذل الوجوه.

وقال ﷺ: «الكرم قلب المؤمن»[1] وذلك إنه يُقال في «العنبة الكرمة» فنهى ﷺ وقال: «عبد الكرم عبد النعمة، وعبد الكريم عبد المنعم»[2].

وقال: وسع الحق قلب العبد المؤمن، ولذلك كان كرماً.

وقال: الكرم من الأخلاق المحمودة، بمنزلة الرأس من الجسد، والعلم الإلهي من الإنسان بمنزلة الحياة منه.

وقال: البخل ضد الكرم. فلا تكن كريماً فيكون لك ضد.

وقال: نزهك الحق في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. بخلقك على صورته، فلا تجعل لك أمثالاً وكن أحدياً في ذاتك، وحدانياً لربك، والوحدانية أتم في حقك من الأحدية.

وقال: كن لله كما هو لك، ليس منه فيك شيء، فلا يكن منك فيه شيء.

وقال: ليس الحق بظرف لشيء، وليس بمظروف.

وقال: للتخلق بالأسماء الإلهية مواطن فلا تتعداها، وللتحقق بها مقامات رجال الله، والأخلاق الجليلة الإلهية فطرة الحكيم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن سليمان بن عبد الجواد

قال: الجواد: للعطش. والجوْدُ: المطر. والجُود: الكرم.

وقال: العطاء قبل السؤال إبقاء ماء وجه المحتاج عليه، ومن طلب الشكر على ما أعطى فقد طلب الجزاء.

وقال: من جاد بالعطية ولم يخص أحداً من أحد فذلك الجواد، وذلك الجود.

وقال: الحق موصوف بالجود في الدار الدنيا، لأنه أعطى الوجود للموجودات.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: «إنما الكرم قلب المؤمن» حديث رقم (٦١٨٣) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها؛ حديث رقم [٧ - (٢٢٤٧)]. ورواه غيرهما. هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

وهو الواهب، لأنه أعطى لمجرد الإنعام، لا يريد منكم جزاء ولا شكوراً.

وقال: الجواد حاز نصف الفلك الظاهر، لأنه أربعة عشر الجيم ثلاثة، والواو ستة، والألف واحد، والدال أربعة. فهذا نصف الفلك، ولا يعطى الفلك أبداً إلاّ بنصفه لا بكله.

وقال: السعادة نصف الوجود، والشقاء النصف الآخر، فلا يحكم فضله في عدله، ولا عدله في فضله. وهي قبضتان ويدان وكتابان، وداران وحالتان، جعلنا الله من أهل اليمين.

وقال: من أعطاك فقد أوجب عليك بالحال شكره وإن لم ينطق، والشكر جزاء وإن لم يطلبه المعطي. ومن علم ذلك فقد كلف المعطي بالحال والعلم ما لو لم يعطه لم يجب عليه ذاك. ومن كلفك فقد أتعبك.

وقال: شكر المنعم واجب عرفاً وشرعاً.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن محمد بن عبد السخي

قال: السخاء: العطاء بقدر الحاجة، من غير زيادة ولا نقصان.

وقال: من سد خلتك فقد وفى لك بما يجب عليه، فلم يبق لك عليه حق معين.

وقال: ليس السخي من تسخى بماله، إنما السخي من تسخى بنفسه على العلم.

وقال: لا يصح اسم السخي إلاّ لمن بيده ملكوت كل شيء.

وقال: السخاء هو الميزان الموضوع في الأرض لأداء الحقوق.

وقال: إن عامل الحق عباده بالسخاء فقد نجوا، وحصلت لهم السعادة وإن عاملهم بالكرم فقد حصلوا على خير عظيم، اشتروه بنفوسهم، وإن عاملهم بالجود ضاعف السعيد، وأسعد الشقي، وصارت جهنم دار نعيم على أهلها. وإن عاملهم بالوهب فبخ على بخ، فهو العليم الحكيم.

وقال: إن الله عند حسن ظن عبده به، فإن ظن به خيراً فقد أطاع أمره، وإن ظن به غير ذلك فلجهله بما هو الحق عليه.

وقال: لا تعاملوا الحق بالميزان، فإنه إن سامت القبة كان من أهل الأعراف، وإن مال إلى أحد الجانبين كان لما مال إليه. فإنه تعالى يعاملكم بما عاملتموه. فاعبدوه شكراً، واتخذوه ذخراً.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الله بن عبد الفتاح

قال: الفتوح الإلهي مثلث قائم الزوايا. فتح عذاب، وفتح بركة، وفتح ابتلاء، ولا رابع ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]، هذا فتح الابتلاء.

وقال: إذا فتح عليك في العبارة فقد خيرك، وإذا فتح عليك في الإشارة فقد حيرك، وإذا فتح عليك في المعرفة فقد أكرمك، وإذا فتح عليك في العبادة فقد أسلمك، وإذا فتح عليك في العلم فقد ألهمك، وإذا فتح عليك فيه فقد وحدك، وإذا فتح عليك فيك فقد أوجدك، وإذا فتح عليك في الفكر فقد وكلك إلى نفسك، وإذا فتح عليك في الذكر فقد اصطنعك لنفسه، وإذا فتح عليك في الفتح فقد اصطفاك، وإذا فتح عليك في الكون فقد جفاك. وليس برب جاف، وليس برب جاف وليس برب جاف.

بذا ورد الخبر عن رسول الله ﷺ: عن الله، أنه ذكر الحديث وفيه: «إذا توضأ عبدي ولم يصل فقد جفاني، وإذا صلى ولم يدعني فقد جفاني، وإذا دعاني ولم أجبه فقد جفوته، ولست برب جاف، ولست برب جاف، ولست برب جاف»[1]. حدثني بهذا الحديث الشيخ عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة برباطة ببغداد سنة إحدى وستمائة. ثم نرجع ونقول: وإذا فتح عليك في التكوين فقد عافاك، وإذا فتح عليك في الكل فقد ولاك، وإذا فتح عليك في الجزء فقد والاك، وإذا فتح عليك في الأعواض فذلك عين الإعراض، وإذا فتح عليك في العرض فذلك عين المرض، وإذا فتح عليك في الذوات أقامك في الشبهات، وإذا فتح عليك في الأين فأنت في العين، وإذا فتح عليك في الزمان أقامك في الآن، فإنه حد الزمانين. وإذا فتح عليك في

(١) هذا الحديث لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

الكل أقامك في الحيرة والهم، وإذا فتح عليك في الكيف فقد عرفك، وإذا فتح عليك في الإضافات والنسب كنت ذا نَسب، وعصمك من الآفات، وإذا فتح عليك في الفعل فأنت الفعل، أو في الانفعال فأنت الأهل، أو في الشرع كنت في الوضع، أو في الحال فقد كيفك، وبالوجود فقد اكتنفك.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إسماعيل بن عبد القابض

قال: كل إنسان إنما يعبر عن حاله، سواء شعر بذلك أو لم يشعر.

وقال: التعبير عن الحال الذوقي محال، لأنه خارج عن حصر الألفاظ.

وقال: الحضرة حضرتان ليس لهما ثالثة، حضرة إلهية، وحضرة كيانية. فالحضرة الإلهية تنقسم بثلاثة أقسام: ذات، وفعل، وتنزيه. وكذلك الحضرة الكيانية، فما زال حكم التشبيه حيث كنت من تنزيه وغيره.

وقال: الرجال أبطال. وإنما سمي البطل بطلاً لبطلان شجاعة غيره عنده وما من مقام في الطريق إلاّ ورجاله بهذه المثابة.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إلياس بن عبد الباسط

قال: لا يصح البسط في المشاهدة أصلاً، فقول القائل: «أقعد على البساط، إياك والانبساط». إنما يدعي بساط المعاملات الحجابيات، لأن الهيبة ذاتية للمشاهدة.

وقال: إذا بسطك الحق أو باسطك فقد استدرجك، فلا تأمن مكر الله في موطن التكليف، وليس إلاّ الحياة الدنيا.

وقال: من الأدب الإلهي الذي أنعم به على الأدباء من أهل الله ألا يطلب من الحق إلاّ على قدر الطالب، لا على قدر المطلوب منه.

وقال: إذا علمت أنه لا بد من نفوذ حكمه فيك لعلمه بك، فاجهد في الطلب، لجواز أن يكون حصول ذلك مشروطاً به. إذا لم تكن على بينة وبصيرة من ربك.

وقال المحجوب: «فرع الحق من المقادير». وهذا قول صحيح عند الأنبياء عليهم السلام وأهل الطوالع بلا شك. وهو قول البطال أيضاً، وقول غير البطال من المجتهدين في العبادات. فجاءت الحيرة بما فيها.

وقال: الاستدراج في المعراج الروحاني المعنوي. إلاً إن أطلعك الحق على التحول في الصور في كل روح مما تأمن به، فتعلم عند ذلك أنك ما أحطت ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عيسى بن عبد الرافع

قال: الدرجات مقامات عباده عنده، فعباد الله أهل الرفعة، لأنهم عباده، وقدر العبد قدر سيده، وهو عزّ وجل ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥].

وقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]. فمن كان عبده وعنده لا يقدر قدره.

وقال: الدرجات الإحاطة، لأنها لذي العرش، والعرش له الإحاطة، والمستوى عليه الاسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفاتحة: ١] فرحمته وسعت كل شيء، تقول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. وهي - أعني الرحمة - بين وجوب وامتنان.

وقال: العرش: الملك والمنازل. والدرجات: مناصب في الملك. أعلاها منصب النيابة العامة إلى ما دون ذلك، وأدناها نيابة الإنسان على جوارحه وما بين ذلك.

وقال: ثالثاً: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]. فتسخير بالأمر وهو تسخير الأعلى من هو دونه، وتسخير بالحال وهو تسخير الرعايا مليكها في الذب عنهم، وتسخير بالدعاء والسؤال والتضرع، وهو تسخير العبد سيده، وصفة الأمر واحدة.

السيد يأمر عبده ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣]. والعبد يأمر سيده ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] ﴿فَٱنصُرۡنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦] ﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]. وتسخيرات الوجود كثيرة مفردة ومشتركة أتى بها القرآن العزيز.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يحيى بن عبد الخافض

قال: الخافض قد يخفضك ليرفعك، وما كل خفض يتضمن رفعه إلاَّ الخفض المشروع.

وقال: اخفض لأبويك جناح الذل من الرحمة، والدليل ما زال مخفوضاً، ولذلك قال: ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسرَاء: ٢٤] ليعلمك أي خفض ذلك عليه.

وقال: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هُود: ٥٦]. والأخذ بالنواصي إذلال بالمأخوذ، والأخذ بالأقدام مثله، ومن أخذ الحق بناصيته فهو بحيث يد ربه، ويد ربه لها العلو، فالأذلاء هم الأعلون، إذا شاهدوا الأخذ، فما من دابة إلاَّ ولها حظ وافر في الرفعة الإلهية.

وقال: من تواضع لله من أهل الله فقد شهد لنفسه أنه شاهد لله، والله يرفعه من أجلهم.

وقال: الميزان الإلهي بيد الحق، يخفض به قوماً ويرفع به آخرين. ولا تزنهم إلاَّ أعمالهم. فمن رجحت وثقلت كفة عمله ارتفع إلى عليين، ومن خفت كفة عمله ارتفعت هي ونزل هو أسفل سافلين.

وقال: الميزان العقلي إذا كان بيد الحق أصاب، وما أخطأ من يزن به. وإذا كان بيد العقل قد يصيب وقد يخطىء. وإذا كان بيد الطبيعة عند المؤمن فيصيب وما يخطىء، وإذا كان بيد غير المؤمن كان خطؤه أكثر من إصابته.

وقال: لسان الميزان أنت. في وقت ترجح بالتافه، وتخف بزواله، فمن خفّ ميزانه به ربح إذا كان هو يزن أعماله في الكفة الأخرى.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن شيث بن عبد المعز

قال: المعز من أعزك بذاته إذا كان عزيزاً، فإن لم يكن في مقام العزة أورثك الذل استنادك إليه.

وقال: المكر السيء لا يحيق إلاً بأهله، فإن الماكر من أهله حاق به.

وقال: للمكر خزائن في السموات، ولا بد لمن خرج عن أصله أن يرجع إليه، فلا بد لمن حاق به المكر أن يرجع إلى السماء، ومن فتحت له أبواب السماء دخل الجنة.

وقال: الله قد أبان: أن من عز هان. ولو كان في العيان.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الحكم

قال: الرضا بالقضاء واجب على كل مؤمن، والرضا بالقضاء واجب عقلاً على كل عاقل إذا كان صاحب كشف.

وقال: من علم ما لا بد من وقوعه فلا يتلقاه إن كان صاحب مقام وعلم إلاً بنفسه، وإن كان صاحب حال فيتلقاه بربه، فيكون ناقص العلم، ومن نقص علمه نقص أدبه.

وقال: الإنصاف صفة أهل العدل في حقهم وحق غيرهم.

وقال: من نظر إلى الأسماء بنفسه كان عالماً ومن نظر إلى الأسماء بربه كان حاكماً، ومقت بعضها.

وقال: معرفة الأوقات دليل على الكمال.

وقال: الشهود حجاب، والحجاب عين الكشف في حق المحجوب، لأنك لا تعرفه حجاباً إلاً أن تعرف أن ثم محجوباً.

وقال: الأسماء حجاب المسمى، لأنها تؤثر في الأحدية، لاختلاف حقائق الأسماء.

وقال: الأسماء إن كانت من عالم تركيب الكلمات تكثرت، واستعيذ بها منها، وإذا لم تكن مركبة من عالم الكلمات كانت العين واحدة.

وقال: الأسماء المترادفة واحدة وإن اختلفت المعاني. والمتباينة أعيان كثيرة، والمتواطئة قريبة من المتباينة، ولها نسبة في كل واحد بغيرها، والأسماء المشتركة أعيان كثيرة في عين واحدة، والأسماء المشتبهة تطلب الصفة.

إني رأيت أموراً في المنام وما ... فيها تنازعنا إلاَّ تفكرنا
فإن كفرت فإن الكفر ليس لنا ... وإن شكرت فإن الشكر يشكرنا
فما ذكرتكم إلاَّ نسيتكم ... وإن تذكرت فالمعنى يذكرنا
النوم موت ولكن لست أعرفه ... فإن شعرت به فالحق يشعرنا
فإن جهلت الذي أبدى فإن لنا ... رباً كريماً بما في الحال يخبرنا
تالله ما ملكت نفسي ولا بدني ... ولو ملكت سواه كان يملكنا
بما لنا فيه من فكر وتبصرة ... ولو تأخرت عنه كان يهلكنا
الله أكبر لا أبغي به بدلاً ... وكيف أبغي وعين الشأن أنفسنا
حبست نفسي عليه إنه سندي ... وإنه بوجودي عنه يحبسنا
لو لم يكن لم أكن لو لم أكن ما بدا ... كون بما عندنا منه يعرفنا
فنحن نعرفه وقتاً ونجهله ... في كل حال لنا والحق يعرفنا
هو الرداء لنا إن كان يسترنا ... عن المكاره فالرحمن يلحقنا
به كما بوجود الحق يلحقه ... ومن عنايته بالكون يتحفنا
إذا نظرت بعين الحق فيه ترى ... به يجمعنا فيه ويفرقنا
فإن تبدت إلينا صورة فبنا ... نرى الذي قد بدا منا ويلحقنا
أقول قولي وإن القول أصدقه ... ما كان عنه فإن الخلق يكذبنا
إن الهوى هو عيني وهو معتقدي ... وليس غيري سواه إذ يقوم بنا

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن خليل بن عبد الخبير

قال: الخبرة علم فاضل عن ذوق وهو الحق ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١]. فمن هذا الاسم الخبير اختلفت الأحوال، فاختلفت التعلقات.

وقال: الإدراك عن التجلي الأول ذوق، وكذا عن التجلي الثاني. فما زاد فهو شرب. وعند المحقق الكل ذوق.. لأنه ما ثم تجلٍ يتكرر.. بل الأولية تصحب كل تجلٍ.

وقال: أهل البلاء يتوجه عليهم الاسم الخبير لا غيره.

وقال: ما تجلى الله لشيء فاحتجب عنه بعد ذلك.

وقال: لله من اسمه الخبير أسرار بعدد أعداد الحروف عند العموم، وذلك أحد وثلاثون سراً من أسرار الإلهية والمعارف.

وقال: الابتلاء يوزن بجهل.. ولا جهل.. فيكون إذن لقيام الحجة على المدعي.. فما هو ابتلاء.. وإنما هو في الحقيقة بروز سر القدر سموه ابتلاء.

وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧].. أي: خبير.. وذلك لما كان سؤال ابتلاء منهم.. ليروا مكانتهم من العلم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن شالح بن عبد الحفيظ

قال: الحفيظ من حفظ نفسه وغيره.. كالخمسة من الأعداد، تحفظ نفسها، وتحفظ العشرين.

وقال: الحفيظ من حفظ الله به خلقه.. فالأسباب حفظة.. وما ثم إلاَّ حافظ.. فما ثم إلاَّ سبب.

وقال: إذا غضب الحق لغضب خلقه المتحقق به فما يغضبه إلاَّ اسمه الحفيظ.

وقال: الحفيظة، الغضب.. فمن أحفظك فقد أغضبك.

وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].. من الزيادة والنقص.. فلا تبديل ولا تغيير.. قرآن مجيد محمدي.

وقال: في أهل الكتاب: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤] عليه.. فوكلوا لحفظه.. فبدلوا وغيّروا.. فإن كنت قرآناً كنت محفوظاً بحفظ الله.. وإن كنت توراة أو إنجيلاً، أو غير قرآن من الكتب المنزلة، وكلت إلى حفظ المخلوق.. وضعت وتلفت.

وقال: من حفظ قلبه من أن يكون بيتاً لغير الله.. تولى الله حفظه من كل ما يشغله عن الله.. عناية به من الله.. وجزاء لعمله.

وقال: من حافظ على أداء العبادات ذاق طعم العبودية.. ومن لم يحافظ عليها لحق بالأخسرين أعمالاً.

وقال: لا يشغلنك عن حفظ ما كلفت بحفظه شاغل.. فإن أنت فعلت حفظك الله بما حفظ به الذكر.

وقال: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾ [المؤمنون: ٥]. فالحفظ: العلم. من حفظ الله به على علم منه...

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن زيد بن عبد المقيت

قال: الله يقدر الليل والنهار.. فمن قدر الأوقات قدر الأقوات.

وقال: من نظر في المقادير علم المقادر.

وقال: من ضيق ضيق عليه.. ومن وسع وسع عليه.

قال النبي ﷺ: «لا توكي فيوكى عليك»[١].

وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنفق بلال ولا تخف من ذي العرش إقلالاً»[٢].

وقال: من تدبر الفاتحة علم أنها الفاضحة.. فإنها ناصحة.. تجمع بين الثناء والتفويض.. والتشريف والتحميد.. والدعاء المستجاب.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم (١٣٦٦) [ج٢ ص٥٢٠]. ورواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، حديث رقم (١٦٩٩)، ورواه غيرهما.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن بلال، حديث رقم (١٠٢٠) [ج١ ص٣٤٠] ورواه أبو يعلى في مسنده، مسند أبي هريرة، حديث رقم (٦٠٤٠) [ج١٠ ص٤٢٩] ورواه غيرهما.

وقال: إسأل العون من الله.. ما دام الكون ينظر إليك.

وقال: عليك بالعبادة والشكر.. فإن الشكر يمنحك الله به الزيادة من النعيم.. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال: العبادة تورث العز الذي لا يرام.

وقال: الهداية إلهية.. والمعرفة ربانية.. والطريق إلى الله في غاية الاستقامة.. والتحريف استقامة.

وقال: استقامة القوس تعويجه.

وقال: الاقتداء بمن أنعم الله عليه هو المطلوب.

وقال: كل من ضل ذل.. وإذا حار اهتدى.. فإن الحيرة توجب له السؤال.. ومن سأل أرشد.. ومن سلك ما أرشد إليه فقد اهتدى.. وهو صاحب الصراط السوي إلى المقام العالي.. وهو الوالي الحميد.

وقال: حروف المعجم مبهمة.. والقصد الإفصاح والإفهام.. فمن أعجم فقد أفهم.. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. قال ﷺ: «إنما أنزل القرآن بلساني.. لسان عربي مبين»[1].. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].. ومن ألحد فقد أخلد.. أي: لصق بالأرض.. ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقال: الإشارة أفصح من العبارة، فإن العبارة تفتقر إلى علم الاصطلاح.. وليست الإشارة كذلك.

وقال: «إني» ضمير المتكلم.. و«أنت» ضمير المخاطب.. وإنه لمن غاب.. فلفظة «إني» للاتحاد.. و«إنك» للحضور والمشاهدة.. فافرد، فإنه الفرد.. وإنه عنيت محق، ولا يلحظ.

وقال: كل من أراد أن يكون الله له فله سعيه.. وإنما أنت لمن يريدك.. فإذا هديت إليه أرادك عن كشف.

* * *

(١) صحيح البخاري، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، (ج٤ ص١٩٠٦) والمستدرك على الصحيحين، تفسير سورة النحل، حديث رقم (٣٣٦٣) [ج٢ ص٣٨٩].

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إسحاق بن عبد الحسيب

قال: المعطي يكافأ، وإن كان مكتفياً، وأعطى الفضل مما عنده.. والمبتلى يعاني، لننظر هل يشكر أم يكفر.. فإن شكر زيد فيما شكر بسببه.. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإن كفر زاده الله مرضاً إلى مرضه.. ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: ٢٠]. ونزولها اليوم تصورها في القلب.. وتلاوتها باللسان.. فأما المؤمن فإذا سمع التالي يتلوها تزيده إيماناً بما نزلت فيه إلى إيمانه.. وتكون له تجديداً بشرياً.

وأما المريض القلب، وهو الذي يشك فيها، هل هي من عند الله، أو ليست من عند الله، فإذا سمع التالي يتلوها تزيده مرضاً إلى مرضه.. ورجساً إلى رجسه إلى أن يموت أو يتوب، فيتوب الله عليه.

وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].. وكفى الحسيب رقيباً.. وكفى الرقيب حفيظاً.. وكفى الحفيظ شهيداً.. وكفى الشهيد خبيراً.. وكفى بالخبير عليماً.

وقال: لا يتكرر الحساب من التكريم.. فمن حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسب في الآخرة.

وقال: من كرمه عزّ وجل أن جعلك تحاسب نفسك في الدنيا.. ما كلّف أحداً بحسابك.. فعجل لك ما أخره في حق غيرك.. من قوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وقال: السعيد من إذا صلّى العشاء الآخرة جعل صحيفة أعماله في ذلك اليوم بين يديه، ونظر فيها.. فإذا رأى ما يطلب الشكر شكر.. وما يطلب الاستغفار استغفر.. وما يطلب التوبة تاب.. إلى أن يفرغ.

ثم يطوي صحيفته وينام على شكر واستغفار وتوبة.. يفعل هذا كل ليلة.. فإنه لا يدري متى يفجؤه الموت.

هكذا كان فعل شيخنا أبي عبد الله بن المجاهد بإشبيلية.

وجلس مجلس تدريسه، شيخنا أيضاً «أبو عبد الله بن قسوم» ونعم ابن قسوم. زاد على شيخه في الاجتهاد وأربى، والتزم هذه الطريقة، أعني محاسبة نفسه في كل ليلة، وكنت كثيراً ما أغشاه، ويوصيني في ديني رحمه الله.

وعلى هذه الطريقة أيضاً رأيت «أبا عمران موسى بن عمران الميارتلي»[1] من أكابر أصحاب الشيخ «أبي عبد الله بن المجاهد» المذكور وكان لديه أدب كثير وطلب. ومما أنشدني لنفسه من أبيات له خرجت من خاطري. في هذا الوقت، وهي لزومية كتبها لي بخط يده رضي الله عنه.

فأنت ابن عمران موسى المسيء ولست ابن عمران موسى الكليما

وكنت يوماً بمسجد الرضى بإشبيلية. ويعرف ذلك المسجد أهل البلد بالكنيسة المرجومة. فالتزمت هذه الطريقة، ورأيت لها بركة، أعني محاسبة النفس.

وقال: الحساب عذاب حاضر، فإن حاسبت أحداً في الدنيا على شيء فلا تناقشه، وتجاوز. فبذلك يجازيك الحق، فإن عملك يرد عليك. فإن الله لا يجمع له أمنين. فمن خافه في الدنيا، آمنه في الآخرة، ومن آمنه في الدنيا خافه في الآخرة، بذا ورد الخبر النبوي، فما تريد أن يفعل معك من أمرك ونهاك، فافعله مع خدمك وأزلامك ممن لك حكم عليهم، ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥].

وإن حاسبت ـ ولا بد ـ فلا تناقش وتحاقق. لأن حضرة جود الله لا تحتمل المناقشة، فلا تناقش ولا تحاقق، وافعل كما يفعل الكريم.

للخير يقظان ذو انتباه عن شره غافل نؤوم

وقال: من مقت، عباد الله، مقته الله.

وقال: يقول الله يوم القيامة للمشركين: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمَان: ١١]. وفي هذا رائحة دلالة على أن خلق أعمال العباد لله تعالى، وهو صحيح.

وقال: إن الله يوم القيامة يتجلى في اسم الحكم العدل، فيتولى الأمور بنفسه، فلا تخف إلاّ من جورك أن يعود عليك، فإنه عزّ وجلّ سريع الحساب.

* * *

(١) أخذ عنه الشيخ الأكبر طريقة تلقي الإلهامات وسماه سيد وقته، كان ملازماً لمسجده في إشبيلية منقطعاً عن الناس، يكترث بزيارة الملوك له توفي عام ٦٠٤هـ.

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن كامل بن عبد الجليل

قال: لا يعرف قدر الجليل إلاّ الجليل. ولا يحجب بكونه من الأضداد.

وقال: شرف الإنسان في عبوديته لله تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ١٩] وهو محمد ﷺ. فلا تحقر.

وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦] فكل شيء عظم. فإنه ما احتقره إذ خلقه.

وقال: الأديب يأكل مما يليه، إذا كان الطعام لوناً واحداً، وإذا اختلفت الأطعمة جالت يده في المائدة، حيث شاء، فإذا وقع بما يشتهيه من الأطعمة، فهو أنفس طعام عنده، واعتكافه عليه، وأحبه إليه. أحسن الأطعمة ما يوافق كل مزاج، فأكمل الشرائع شريعة محمد ﷺ، لعمومها.

وقال: كل الصيد في جوف الفرا.

وقال: من عظمت أفعاله عند الله وجلت، غمضت أسراره، وعمت أنواره وكلمته ودعوته، ذلك الجليل الذي لا يقدر قدره.

وقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: ٩١] بجلالته في نفسه. وإنما كان الجليل من الأضداد حتى يعم الصغير والكبير، والعظيم والحقير. فتعم رحمته، فإنه الرحيم الغفور، ذو الفضل العظيم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن شاكر بن عبد الرحيم

قال: المراقبة تفيد العلم بالمراقب بدقائق الأمور، وما يخطر في النفوس والهواجس، وإذا شكر الله عليها، وقعت الزيادة من الحق، فيما فيه سعادته، وإنه ما شكر إلاّ من كونه علم ما جهله غيره، ويفتح الله عين بصيرته، ويزيده علماً بنفسه فيزداد علماً بربه.

وقال: الرقيب من راقب أنفاسه، فإذا خرج النفس من القلب إنما يخرج بصورة ما في القلب من الحديث والخاطر، فاحفظ قلبك من كل خاطر لا يرضاه الله منك، فإن الخواطر عند أهل المراقبة كالأفعال التي تجري على أيدي العباد في الظاهر، وهم عنها يسألون، ومن دقق دقق عليه، مع أن الحق تعالى هو الذي يخطره لك، فإنه الخالق له في قلبك، ولكن يسألك عنه، ولا يحاسبك على الخاطر الأول أبداً، وإنما الخاطر الثاني، فما زاد الآتي وهو من صورته عنه يقع السؤال.

وقال: الدنيا أم رقوب.

وقال: الرقيب ملازم باب القلب، بل هو بوابه، واللسان ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

وقال: على القلب ملك رقيب، وشيطان رقيب. والله على كل شيء رقيب.. فالرقيب الشيطاني، ينظر أوقات الغفلة من العبد، والرقيب الملكي يلتمس الحضور من العبد مع الله. فإن نسي ذكره، وإن عمل أعانه، وإن جهل علمه، وإن غفل ألهمه، وإن اتقاه في كل ذلك أكرمه، والله تعالى عليهما رقيب، ينظر ما يصنعان مع عبده. والعبد متردد بين اللمتين، لمة الملك، ولمة الشيطان، يفعل الخير ما يفعله، ويفعل الشر ما يفعله، فالشيطان يطلب بلمته أن يحول بين العبد وسعادته، والملك يطلب بلمته أن يحول بين العبد وشقاوته. وهو لما قبل، والفعل يصدق ذلك أو يكذبه. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن اليسع بن عبد المجيب

قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ﴾ [النمل: ٦٢]. وما خص دنيا من دين. وإنما كانت الإجابة لحال اضطراره.. ولا تغتر بعد هذا الذي نبهتك عليه.

وقال: نظر الحق إلى الأحوال، ما هو نظر إلى الأقوال والأفعال.

وقال: العبد الحقيقي الواقف مع عبوديته لا يتصور منه إباية فيما يدعوه إليه سيده. وعبوديتنا لله حقيقة لا يصح فيها حرية، ولا يزيلها عتق، فإنه لا عتق فيها بوجه من الوجوه.

وقال: العبد المشترك، ينعتق منه ما ملكه الكون، ولا ينعتق منه ما ملكه الحق، بل يرجع منه ما ملكه الكون إليه بحكم الميراث إذا مات سيده ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريَم: ٤٠] فجاء بمن، ومن تقع على من يعقل، ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريَم: ٤٠]، فالعبد وما يملكه لسيده، وولاؤه له، فإن العبودية صحيحة.

وقال: من أجاب دعوة الحق إذا دعاه بلسان الشرع ـ ولا يدعوه إلاَّ به ـ أجابه الحق فيما دعاه فيه.. فقال لعباده: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] فإنه سبحانه ما يدعوكم هو ورسوله إلاَّ لما يحييكم.

وقال: قد علمتم، وتقرر في عقدكم.. أن بيده عزّ وجلّ ملكوت كل شيء، وأن له الحكم في كل شيء.

وقال: إليه يرجع الأمر كله فاعبده يا هذا السامع، وتوكل على الله فيما دعاك إليه، فإنه ليس بغافل عن أعمال عباده.

وقال: من أجاب إذا دعي بحجاب إذا دعا، يجيبه ربه إذا دعاه، فإنه أجابه حين دعاه على لسان رسوله ﷺ.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن أيوب بن عبد الباعث

من كان في المجلى لما ينجلي ... يكون في الفعل لمن ينفعل

وإنه الفاعل سبحانه ... والكون عن قدرته منفعل

ويستقل الحق في فعله ... والعبد بالفعل فما يستقل

من يكن النقصان من ذاته ... كماله في ذاته مستحيل

قال: الراحة كل الراحة إذا بعثت أحداً في حاجة، فلا تنتظر وصوله إليك بها ولو غاب سنة، وإذا جاءك فلا تقل له ما الذي أبطأ بك؟ فإن جاء إليك بحاجتك، فما أبطأ بها إلاَّ وقتها، لا من بعثته، وإن لم يجىء إليك بها فاعلم أن وقتها ما حان، تكن مستريحاً من تعب الانتظار.

وقال: الأشياء مرهونة بأوقاتها، فلا تلم من سألته، ولا تلم الوقت، فإن الأوقات تتشابه، فإنك إن لمته لمت عين الوقت المعلوم لقضاء الحاجة وحصولها،

واتصفت في ذلك بعدم الإنصاف، فاحذر من اللوم، فإنه ليس من مذهب أهل الله. وإن غلب عليك الضجر، فاعلم أنك بشر، فإن هذا العلم هو الدواء النافع، وعليه دل الله ورسوله ﷺ، فقال له: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] فما زاد على أمثاله إلاَّ بالوحي الذي فيه إنه نبي فاعلم ذلك.

وقال: إياك والحنث، فإنه مهلكة، فإن الله نهى عنه نبيه لما أقسم أن يضرب أهله فقال له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤] ومعلوم إنه ما أراد الضرب المؤلم، ولكن وقع إبرار القسم بما ذكر.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عيسى بن عبد الوارث

قال: أقرب الناس إليك من ورثك، فأقرب الناس إليك أهل دينك وملتك وكذا من ترثه.

وقال: قال الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠] وهو قوله في القرب: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وهي الآخرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقال: التقوى بنسب الله.

وقال: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] فاعلم.

وقال: العالم وارث النبي، أي نبي شاء الله، ولا ميراث هنا إلاَّ بالعلم، فهو محصل علمه بالله، إلاَّ بما شرعه ذلك النبي لعباد الله من أُمته.

وقال: عيسى بن مريم، لا ابن فلان، إلاَّ أن جبريل، وهو الروح الأمين تمثل لها بشراً سوياً، فوهبه لها بنفخة غلاماً زكياً، فزكاه الله، وصحت المناسبة بالتمثل.

وقال: لكل إنسان من اسمه نصيب، فتسموا بأسماء الأنبياء عليهم السلام فالتسمية بأسمائهم أعظم بعد العبودية، في التمام والكمال.

وقال: أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمٰن، وأصدقها: الحارث، والهمام، وأبغضها: شاهنشاه.

وقال «سفيان بن عيينة»: يريد ملك الملوك، وما ملك الملوك إلاّ الله، فلا يحتمل المزاحمة اللفظية، فإن المزاحمة المعنوية لا تصح.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إلياس بن عبد الشهيد

قال: إن ركبت شهوتك فقد ملكتها بركوبك إياها، فإنك قادر على كبحها بلجام التقوى.

وقال: لا تكن حركتك إلاّ عن إرادة، لا عن شهوة، فإن الشهوة حظ الأنفس، فكن في الدنيا صاحب إرادة، وفي الآخرة صاحب شهوة. تكن سعيداً في الدارين.

وقال: الشهوات شبهات، فاجتنبها في دار التكليف.

وقال: ركوب النار هناك. هناك.

وقال: من ركبته حكمته، ومن ركبك حكمك.

وقال: كن حاكماً ولا تكن محكوماً عليك إذا كان الحاكم النفس، فإن كان الحاكم الشرع، فكن له محكوماً هنا، تكن في الآخرة حاكماً.

وقال: لا تذر أحداً يدعوك. انظر إلى ما يصلح بالحضرة، وما تعطيه الحال، فَأْتِهِ.

وقال: لا تحوج الداعي أن يدعوك إليه مطلقاً، فإن دعاك مقيداً، فهو الدعاء، الذي يسعدك عند الله، فأجبه.

وقال: الحق ما يدعوك إلاّ بلسان شرع نبيك في هذا الزمان، وهو شرع محمد ﷺ، فإن دعاك بلسان غيره من الأنبياء عليهم السلام، فانظر فيما دعاك به إليه، فإن كان في الشرع المحمدي فهو دعاء امتثال وعناية، وإن لم يكن في الشرع المحمدي فهو دعاء ابتلاء. فاحفظ وميِّز.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن أحمد بن عبد الحق

قال:

لله قوم لهم في كونهم قدم	وما له في صفات الخلق من قدم
الاشتراك بألفاظ أتاك بها	وعند تعيينه جوامع الكلم
سبحانه وتعالى أن يحاط به	علماً فتضبطه الألباب بالهمم
إني أمر من عباد الله مصطنع	له وإني أهل الجود والكرم
وليس يعرفني جن ولا بشر	ولا ملائكة الرحمٰن في القدم
وكيف يعرف من بالعلم غيبني	وهو الحكيم الذي يأتيك بالحكم
وكيف تجعله والعين تشهدني	هيهات هيهات. إن الأمر في بهم
فالجهل عند ذوي الأفهام معرفة	والعلم عند أولي الألباب في علم
....	يكون عبداً تراه غير محتكم
إن قام قام به إن قال قال به	تلقاه إذ يتلقى غير محتشم
لله في كل عبد سر معرفة	به منزهه لله محترم
....	ما نال عبد له تحلة القسم
حتماً عليه قضاء الله سيدنا	على عبيد بحبل الله معتصم
فكيف حال عبيد ما له سند	في ذلك اليوم غير الشرك والصنم
....	جاءت على الرأس تمشي لا على القدم
لكنها جهلت أمراً يراد بها	فالحمد لله ذي الآلاء والنعم
إني قد أصبحت في بيضاء واضحة	صباح عبد يمين الله مستلم
....	يمضي الأمور بعزم غير مهتضم

قال: من كان مؤمناً فهو منصور من الله بلا شك على عدو الله وعدوه، وهو إبليس، فإنه العدو المحقق بإخبار الله، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فأوجبه على نفسه.

وقال: من التزم الحق في جميع حركاته وسكناته فقد عرّض نفسه للبلاء في الدنيا، والعافية في الآخرة.

وقال: الزم الحق، فإنه يدفع الباطل ولو بعد حين.

وقال: أعط الحق نفسك، وسامح غيرك في حق نفسك، لا في حق الله، ولكن لا بد لك من فارق بين الحقين، واستفتِ قلبك، وإن أفتاك المفتون.

وقال: احذر من حذاذات القلوب، وما تحرك في الصدور.

وقال: قل الحق. ولو كان عليك. فيما أمرت أن تقول، وإن أمرت بستر الحق عندنا، إلاً لتبلغ ما شرع الله لنا أن نبلغه.

وقال: اتبع الأحمد والأولى من الأفعال، تأمن عواقب الأمور المهلكة.

وقال: حمد الحمد، أتم المحامد، وهو سر الله. وذلك أن تكون الصفة المحمودة، صفته من جملة صفاته.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن محمد بن عبد الوكيل

قال: المقام المحمود، الحاصل بالورق لمن حمدت أفعاله وأقواله وأحواله. فدخل مدخل صدق، وخرج مخرج صدق، وجعل الله له حجة على من ناظره، ونصره على من عاداه، وذلك الرسول ﷺ بالقطع، ومن كان من أمته بغلبة الظن.

وقال: إن أردت أن تسلك إلى الله سبيلاً، فلا تتخذ غيره وكيلاً وإن اتخذته ابتداء كنت سعيداً. وإن اتخذته تعالى عن أمره، أديت واجباً. فجازاك جزاء من أدى الواجب، وهو أعظم الجزاء.

وقال: أداء الواجبات، عبودية محضة. ونوافل الخيرات، فيها روائح المنن.

وقال: إن كنت كفيلاً، كنت رئيساً. وإن كنت وكيلاً ـ اسم مفعول ـ كنت مرؤوساً تحت أمرين، وإن كنت وكيلاً ـ اسم فاعل ـ كان الحق نائبك، فأصبت خيراً عظيماً، فإن الله له الحجة البالغة. واجعل توكيلك إياه تعالى أمره، فإنه أعلم بمصالحك منك بها.

وقال: إن الله جعلك مستخلفاً عنه فيما هو لك، وأمرك بالإنفاق منه، مع كونه تعالى غير محتاج إليه، فاصرفه في الأمثال من جنسك.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن المتوكل بن عبد المتين

إذا لم يكن في الوجود إلاَّ الله، فمن يتوكل؟ فالمتانة القوة في الاعتماد على الله، ولهذا قال: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريَات: ٥٨].

وقال: ما جاءت المتانة إلاَّ في الرزق، لتصح الثقة من العبد بالرزاق.

وقال: لا تحجب بالسعي والكد على العائلة. وتجعلهم حجة ضعف يقينك. إن كنت تقول الحق فأطعم ممن تخدم من أجله، أو لا تطعم، فإن طعمت فضحت نفسك ولم تصح دعواك إن أنصفت.

وقال: الحرفة حجاب على أعين الناظرين، وعلى عين المحترف، ولا يرفع ذلك الحجاب حتى يتناول من كدك شيئاً.

وقال: لا تأكل ممن يعرف أنك معتمد على الله، فإن معرفته بذلك من جملة الأسباب التي تجلب الرزق، بقول بعضهم: لا أطعمه لله، أي من أجله. فنفى الحق هذا فقال: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريَات: ٥٧] فجاء ببنية المبالغة، ذو القوة المتين، فلا تنفذ فيه سهام الدعاوى، لمتانته وقوته.

وقال: الاعتماد على التوكل على الله تعالى سبب، وترك الاعتماد على الله كفر، ولا بد أن يقام العبد في أحدهما، فانظر كيف تخلص!!!.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الولي

قـــــال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٠].

وقال: هذه بعدية الأحوال، لا بعدية المسافات.

وقال: من نصره الناصر، فهو منصور ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعَام: ٨٣].

وقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] ولكن قلّ من يعرف من عباد الله أنها بالغة إلاّ من عرف أن العلم تابع للمعلوم. وأن العلم لا أثر له في المعلوم، بل يعرف أن لا أثر للمعلوم في العلم بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١].

أولاً: إن ذلك الجناب، ما تتحرك ذرة إلاّ بإذنه، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: لا يعلم ما قلناه، إلاّ من فرق بين العلم وبين تعلقه، فالتعلق يحدق في العلم بحدوث المتعلق. فإن من علم زيداً قاعداً في حال قيامه، فما هو عالم. فإن علم إنه يقصد مستقبل حاله، فذلك عالم. فافهم. ما حدث هنا إلاّ التعلق، والماضي والمستقبل في حق من يجري عليه الأزمنة.

وقال: علم الاستدلال للأنبياء قبل أن تأتيهم النبوة من عند الله.. إبراهيم رأى كوكباً قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ [الأنعام: ٧٦] بذاته عن عينه ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] ثم ارتقى في النظر إلى القمر والشمس، ورجع فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] فدقق النظر في ذلك تعثر على العلم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إسماعيل بن عبد المحصي

قال: صدق الوعد، حال الأنبياء والأكابر من عباد الله ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم: ٥٤].

وقال: الإحصاء تناه، والأمر يتناهى منه إلاّ ما دخل في الوجود، وهو الوجود أبداً إلى غير نهاية.

وقال: الشيء قد يعبر به عن المعدوم الذي يمكن وجوده، وعن الوجود الذي قد اتصف بالوجود، وما خرج عن هذا الوصف فليس بشيء وقد ينتفي الشبيه عن المعدوم الذي يمكن وجوده، ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٨٢] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢] وهو يعلم نفسه، ويعلم العدم، فالله يرزقنا وإياك الفهم عن الله.

وقال: لا يحصى عليه من ينفعه ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] فما نفي إلاَّ خيره ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [التكوير: ٢٦].

وقال: الأمر مكافأة. أخرج بما عندك لمن عندك، يخرج إليك بما عنده لك. وما عنده لك لا يتناهى، فخرج لك بما عنده على الدوام، من إحدى الصفتين في الآخرة، ومن الصفتين في الدنيا، فإنه المبلي المعافي.

وقال: أنفاس العبد يحصيها الحق لك لا له، ما دام في عالم الأنفاس، وينتهي الإحصاء فيها بانتهائها إن كانت متناهية.

وقال في الكتاب: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩] وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] والإحصاء حصر، وكل محصور محدود، ما رأيت في القرآن آية نبهتني على ما هو الأمر عليه، مثل قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمّد: ٣١]. فقوله تعالى: ﴿نَعْلَمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٧] فيه الفائدة لمن تنبه، وعلم بالأشياء، أعني المعلومات متعلق بما هو عليه المعلومات من وجود وعدم.

قال: «لا أحصي ثناء عليك».

وقال: إن تناهت الأمهات وهي الأجناس، فإن الأولاد غير متناهية وهي الأشخاص، فإن الولادة دائمة.

وقال: أحوال الخلق في الدنيا هم أولاد الليل والنهار، فلا بد من إحصائهم لتناهيهم. وأحوالهم في الآخرة، أولاد الزمان خاصة، وما عندهم تناه.

***

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد المبدي

قال: بدأ الخلق باسمه الأول، فكل مخلوق ينظر إليه، فما لبقاء العالم انتهاء.

وقال: بدأنا منه، فإليه نعود، فإنه لا بد من الرجوع إلى الأصل.

بدأ الخلق باسمه الأول ... فأنا فيه قلب حول
فانظروا في الذي أتيت به ... فعليه مدارنا الأول
وعليه أهل النهى اعتمدوا ... وعليه عول من عولوا

وقال: إذا كانت الأصول لا تؤثر في الأخلاق، فما ظنك بالفروع، وما أحسن ما قيل:

إذا كانت النفس من باهله	وما ينفع الأصل من هاشم

والأصل المزاج فطوبى لأهل المزاج المعتدل. فإن انحرف ولا بد، فإلى عليين، فإنه قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هُود: ١٢٣]. صفته العلو، فإنه رفيع الدرجات.

قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَديد: ٤]. وما نحن إلاّ عنده وبعينه ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: ١٤].

وقال: النفس منفوخة فهي نفس روح طاهر. مضاف إليه عزّ وجل فمن أين طرأت عليه العلة؟ ما ذاك الأمر إلاّ من المزاج، وهو المعبر عنه بالاستعداد، والقبول بحسب الاستعداد.

وقال: نور الشمس على صفة واحدة، فيضرب الزجاج المتلون فينعكس، فيظهر فيه من الألوان ما عليه الزجاج في رأي العين. والنور في عينه ما تغير. فافهم المثل، فإنه قد جل، وكذلك التحول في الغمامة يوم القيامة. والزجاج القلوب، والألوان الاعتقادات، والحق لا يتغير، ولكن هكذا تراه.

الأمر بدأ وإليه نعود	وعلم ما جئنا به في السجود
ثم إذا قمنا إلى حالة	أُخرى فلا بد لنا من قعود
يا أيها الناس انظروا في الذي	أنبأتكم عنه فذاك الوجود
لو أنه يفضل عن خلقه	لم يكن الحق ونحن العبيد
لكنه الله الذي حكمه	ماض ويقضي علمه ما يريد
وهو الذي دلّ دليل الحجا	عليه في حال الفنا والشهود

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن سليم بن عبد المعيد

قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعرَاف: ٢٩]. يريد والله أعلم: على غير مثال.

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الرُّوم: ٢٧]. فيما بدأه منه، وقد علمنا أن نشأة الآخرة على غير نشأة الدنيا، أعني في المزاج. فقد تكون الإعادة إعادة

إلى خلقه ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] تنبيه إلهي ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجَاثية: ٥].

وقال: تعود الأرواح إلى تدبير أجسادها.

وقال: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العَاديَات: ٩] دليل على إعادة جواهر الأجسام على مزاج يريده الله.

وقال: ينزل الله مطراً من السماء مثل مني الرجال، عندما يريد الحق بروز الناس من قبورهم، فينشئهم الله من ذلك الماء، فتنبت من الأرض نباتاً، فإذا ظهرت الأجساد من القبور، تولتها الأرواح بالتدبير، على قدر ما يعطيه مزاج تلك النشأة بعد أن كانت عزلت عنها، وما عزلت بل الدار تهدمت، والملك باق ببيعة صاحبه، فإذا بنيت له رجع إليها يسكنها كما كان أول أمره، فقوى أساسها وأحسن بناءها، وحفظها من الخراب، فهي دار باقية غير فانية.

وقال: الإعادة لما كانت بالتكرار قال من قال ما شاء، ولا تكرار أصلاً للاتساع الإلهي، وقد وصف المخبر عن الله أن نشأة الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا إلاَّ في الاسم، وهكذا جميع أحوال الدار الآخرة.

وقال: ما هي عين ما مضى، ويريد المزاج. وهي عين ما مضى، وهي الجواهر. فإنها ما انعدمت، ولكن انتقلت عن تلك الصفات، وتقلبت في صفات غيرها، والإضافات حجبت أهل النظر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرّعد: ٣] فيعقلون ما هو الأمر عليه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يوسف بن عبد المحيي

قال: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له». وما ثم إلاَّ حي، فما الأمر وجود بعد عدم، ولكن الأمر انتقال من حال إلى حال، واجتماع خاص، عن خاص، عن افتراق. فهو المحيي بلا خلاف بالاتصال، كما كان المميت بالانفصال.

وقال: من عرف أن الأمر نسب وإضافات، هان عليه ما يسمع من تناقض الحكم، وعلم أنه ما ثم تناقض، لكن الغافل ﴿فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

وقال: ليس إلاً من أحيا ثم أمات، ثم أحيا بالإرادة، حتى يقول المعترض: إن الأمر وقع بالاتفاق، وما ثم أمر إلاً وهو مقصود لله تعالى. وبقاؤه وفناؤه، فإنه من رد إليك ملكك، فقد جدد لك الولاية عليه، ومن رد عليك حياتك، فقد أحياك، ومن أحياك أنعم عليك، فوجب عليك الشكر، فمن شكر دل شكره على كرم أصله. ومن لم يشكر دل عدم شكره على جهله، ودناءة أصله فوجبت العقوبة واستحقت، فمن الناس من أحياه الله ليزيده نعمة إلى نعمته، ومن الناس من أحياه، ليعذبه، تصديقاً لقوله في وعيده:

فسبحان من أحيا النفوس بعودها ... لتدبيرها قصداً على القسر والرغم
لينعم من والاه بالحسن والرضا ... فزاد الذي عاداه غماً إلى غم
ولم يحيها في نفسها غير إنه ... أقام لها بيتاً من الكيف والكم

***

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يعقوب بن عبد المميت

قال: خلق الله الموت والحياة ابتلاء لعباده.

وقال: أهل المؤاخذة إذا أدخلهم الله النار، وما هم من أهلها المقيمين فيها أماتهم الله في النار إماتة الحديث، فهو ميت في الدنيا والآخرة وفي البرزخ.

وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: ٤٤].

وقال: الموت انتقال من دار إلى دار. ومن حال إلى حال، فأما الانتقال فلا يزال أبداً في الآخرة، تتقلب على الناس أحوالهم، فهم ينتقلون من حال إلى حال، ومن دار خزي وهوان إلى دار نعيم وأمان.

وقال: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. هذا حكاية قولهم عرفنا الله بها، فتفكروا في القرآن. فإنه منه ما هو من الله بطريق الحكاية على المعنى، ومنه ما هو عن نفسه سبحانه من غير حكاية. وهذا موضع أغفل الناس الكلام عليه، لوضوحه.

وقال:

الروح واحدة والنشء مختلف ... في صورة الجسم كان الأمر فاعتبروا

في الجسم كان اختلاف النشء فاعتمدوا على الذي قلته في ذاك وادكروا
فإنه العلم لا ريب يداخله والشمس تعرف ما قلناه والقمر

وقال: الأرواح ثلاثة: أرواح مهيمة في جلال الله، ما عندها علم ولا شهود إلاّ جلال الله، لا تعرف أن الله خلق خلقاً سواها. وأرواح مسخرة، هم عمّار السموات ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحريم: ٦]. سخرهم الله لنا في جميع مصالحنا، دنيا وآخرة. وأرواح مدبرة، وهي أرواح أجسامنا التي قضى عليها الموت. وسخر بعضها للبعض فالمهيمة حائرة، والمسخرة ذاكرة، والمدبرة ناهية وآمرة.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد القيوم

قال: القيام على العالم صفة ربانية ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرّعد: ٣٣].

وقال: العول الميل. عالت الفريضة إذا مالت. والميل مرض، فاطلب من الله صحة الحال والقصد، في التوجه إليه سبحانه.

وقال: كل قيوم حي، وليس كل حي قيوم إلاّ بوجه ما. ويصح أن يكون كل حي قائم. والأنفاس كثيرة، وله قيام في كل نفس، فصح النعت بالقيومية له، كذلك، أو كمثل النفوس سواء.

وقال: لا تكن عبداً إلاّ لمن يقوم بمصالحك، كانت ما كانت، وما يقوم بأمورك إلاّ الله، فلا يستعبدك سواه، فهو المسخر لك عباده، فافهم ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزّخرُف: ٣٢]. فيسخر الأعلى الأدنى، فيما يريد بالأمر، ويسخر الأدنى الأعلى بتسخيره الأدنى بالأمر، ولا يتفطن الأدنى بتسخيره الأعلى.

وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦] فهذا أمر إلهي ليس للعبد فيه تعمل أمرنا بالدعاء فدعونا فأجاب. فلا تشك أنه استعملنا في الدعاء، واستعمل الدعاء في الإجابة، فقال عن نفسه ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦].

وقال:

دنـيــاك دار بــلاء فـيــه عــافـيــة فما لـها غير سكناها وفي العقبى
لـنـا الـتـحـكـم فـيـهـا لا إلـى أجـل تجري إليه ولي العمرى مع الرقبى
ولـسـت أسـألـكـم أجـراً عـلـيـه سـوى مـودة مـنـكـمـو فـي الأهـل والـقـربـى

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن داود بن عبد المقسط

قال: إذا أوتي الإنسان الحكمة وفصل الخطاب، ومكن عند السؤال من الحكم بالإصابة فيما سئل فيه، فقد أوتي خيراً كثيراً ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩].

وقال: المقسط من عدل في الحكومة، وهو ممن تنعم الجنة بدخوله فيها. وأما القاسط فهو من حطب جهنم؛ ووقودها الناس. وهم القاسطون ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجنّ: ١٥] والحجارة وهي الآلهة المعبودة التي نحتوها، ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصَّافات: ٩٥] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافات: ٩٦].

وقال: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يُونس: ٦١] وهو الذي حدّ لهم، ثم عينهم ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال: المقسط عادل، والقاسط جائر، وكلاهما مائل، فالعادل المائل إلى الخير، والجائر المائل إلى الشر، وهما كفتان.

وقال: كن داودياً، تكن صاحب صنعة لبوس، فتحصن كما فعلت ما يحصن، فهي بالقصد الأول محمودة، وإن استعملها العدو، وتحصن بها من بأسك، عند مقاتلته إياك، فإنه قاتلك بهواه، وقاتلته أنت عن أمر الله، والله غالب على أمره.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن سليمان بن عبد المغني

قال: المقام الصحيح... والقول الصريح... فيمن سخرت له الريح... نصرت بالصبار... وهو طلوع النور... فمالت إلى النصر... وله جاءت... فهي عين الدبور... ما جاءت بالنصر... إلاَّ لتهلك عدو المنصور.

وقال: إذا أراد الله أن يهلك يأجوج ومأجوج، جعل فيهم داء فأصابهم في أعناقهم. وهو ريح. والمؤمنون إذا أراد الله قبض أرواحهم إليه، جاءتهم ريح أطيب من ريح المسك، تأخذهم من تحت آباطهم، فتذهب بأرواحهم إلى ربهم، فيصفيهم بالبقاء والبشرى.

وقال: ما تسمى بالمغني إلاَّ لكون الغنى به، فمن اتصف بصفة الغنى فهو سيد، ومن اتصف بالفقر فهو عبد.

وقال: كن عبداً في غناك... وكن سيداً في فقرك، تكن كاملاً.

وقال: من أغناك فقد ولاك... وأعظم الولاية، ولايتك على نفسك، فمن ولاه الله على نفسه، بايعته جوارحه على السمع والطاعة. وتلك هي العصمة في الأنبياء، والحفظ في الأتباع وهم الأولياء من المؤمنين.

وقال: لا يستغني بالله إلاَّ من افتقر إليه، ولذلك تسمى بالمغني.

وقال: من علم الإشارة في تسخير الريح لسليمان (ع)، علم أن الريح هبوب الهواء، فيقوم به عدم الثبوت.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن هارون بن عبد البديع

قال: أعظم المصائب شماتة الأعداء.

وقال: النار ولا العار.

وقال: لا تبتدع، فيوجب الله ذلك الابتداع عليك في شرعنا، «من سنّ سنّة حسنة» وما سماها بدعة. فإنها مشروعة، فإن شرعك قررها.

وقال: في غير المحمدي فيما ابتدعه. إن الله ما كتبـ[ـها] عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله، ولأجل هذا أيضاً ابتدعوها، لكن ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]. فإن ابتدعت، وهو تعيين سنة لم يعينها الله لك إلاّ بتعيينك، فالزمها. وائت بها على وجهها، واشكر الله على إلحاقك، حيث ألحقك بأنبيائه ورسله، فأباح لك أن تسن ما سنوه بما يقرب إلى الله.

وقال: كن متبعاً، لا مبتدعاً. إن كنت محمدياً. فإنه ﷺ كان يحب التخفيف عن أمته، ويكره المساءلة، خوفاً من أن يزيد الله في تكليف أمته. فاتبع مرضاة محمد نبيك ﷺ. فإن الله يرضى ما يرضي نبيه.

وقال: يقول الله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ينبه على ألا تزيدوا على التكليف فإنه لا يأذن به الله. ولكن خير. فاختر الرفق بنفسك، وبعباد الله، توفق لمراد رسول الله ﷺ.

وقال: عليك بما شرع الله لك.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن زكريا بن عبد الضار

قال: من نادى ربه، وأخفى نداءه ودعاءه. فيما يذكره، ويضيفه إلى ربه أنه فعله به احتراماً لجنابه، لا رغبة في الإخلاص، فإنه مخلص في دعائه، فهو مرحوم بالرحمة الربانية، وهذا من باب الغيرة على الجناب الإلهي.

وقال: كما أن الله هو النافع، وأنت فقير ضعيف، فاسأل. فإن بعض الناس من الأهل، لما تحققوا بهذا الاسم، كانوا يطلبون البلاء، لما يجدون فيه من الالتذاذ به، فما كانوا يطلبونه إلاّ لذاك الالتذاذ. فلم يكن مطلوبهم إلاّ اللذة.

وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ [البقرة: ١٦] يعني الأنبياء عليهم السلام ﴿هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فأمر بالاقتداء، فلا تعدل عن محجتهم الأصلية، وهي اتباعك ما شرع لك سبحانه، اتباعه واجتناب ما شرع لك اجتنابه، تكن متبعاً.

وقال: أطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك، حتى لا ينقطع عملك بموتك. فإن ابن آدم إذا مات، انقطع عمله إلاّ من ثلاث: من صدقة جارية، أو علم يبثه في الناس، أو ولد صالح يدعو له.

وقال: النكاح سنة نبيك ﷺ، فلا ترغب عنه.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إسماعيل بن عبد النافع

قال: النفوس مجبولة على طلب المنافع، ودفع المضار، فاسأل ربك المنفعة العامة. وليس إلاً أن يزول عنك الألم، وترزق الالتذاذ بكل ما يجري عليك.

إني لأحذر من نفع تجود به — على عبيدك فيما قد يؤمله
تجيبه حين يدعوكم ويسألكم — وما يجيبك يوماً حين تسأله
إذا يعن له أمر يؤجله — لله وهو مع الأدنى يعجله
إني لأخجل من شخص دعاه بنا — ولست أخجل من شخص نخجله
فما يؤخرنا إلاً تكاسلنا — وما يقدمنا إلاً تفضله
وكل شيء لنا لديه يبذله — وكل شيء له لدي أبذله
إني لأعرف من قد كنت أجهله — فما يبدلنا إلاً تبدله

وقال: أكثر الدعاء إلى الله بالقبول. فإن الله لا يقبل إلاً الطيب. فإنك إذا دعوت بالقبول، فقد دعوت بما يرضي الله. وأنت تعلم أن الإنسان يفرح بقبول السلطان هديته، وذلك الفرح على الحقيقة ما هو بقبول الهدية، وإنما هو بقبول السلطان عليه، وحظوته منه، وشغوفه عنده على غيره.

وقال: النفس رغبت في معالي الأمور أن تكون صفة لها.

وقال: توسم أهل الله أن يسأل الله في التوبة، وهي الرجوع إلى الله في جميع الأحوال. بطريق من الرحمة، والعناية.

وقال: إذا سخرك الكبير فيما يرضيه، فقد اصطفاك واختارك لخدمته وأنت مفتقر إليه، فلا بد أن تفرح لذلك وتُسر.

وقال: اطلب من الله من كونه سامع الدعاء، عالماً بالأحوال، أن يتقبل إقبالك عليه، ودعاءك إياه، فإنه رحيم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن إليسع بن عبد الهادي

قال: وسع على أهلك ما استطعت ولو بالخلق، فإنك لم تسعهم بمالك. والخلق عيال الله، والله واسع عليم تجدها بشرى إلهية. وانظر إلى منته عليك في أن جعل نفسه خليفة عنك في الأهل، وأنت خليفته في الأرض لأنها أفعال العبادلة.

وقال: إن الله لما خلق الإنسان علّمه البيان، وما علّمه إلاّ باسمه الرحمٰن، فعلم القرآن، على قلب من ينزل عليه، فنزل به الروح الأمين، على قلب محمد ﷺ، بلسان عربي مبين، ليكون به نذيراً للعالمين فعليك البراءة، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] وهو أبوه الذي له عليه ولادة ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] فقدّم الآباء على الأبناء وذلك قطعة من كبدك، وأنت قطعة من كبد أبيك. فقدم من قدم الله، فما قدمهم الله سدى على الأبناء، لأن الأب سبب في ظهور عينك، والأم أب آخر، وباجتماعهما أظهرك الله، فاعرف قدرهما.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن داود بن عبد المعطي

قال: منع الله عطاء، إذا قال أحدكم: لم نعط أعطاه الله. لم نعط.

إذا ما قلت لم نعط ... فقد أعطيت لم نعطه
ولا تنظر إلى خلق ... تقع من ذاك في ورطة
فإن حلت فقد جلت ... تقول إلهنا حطه
ويحكيها عن أقوام ... شهود ما لهم غلطة
فما شبهتهم إلاً ... كدائرة على نقطة
خطوطهم سواسية ... وهم منها على خطة
وقد أوتوا كما أُوتي ... إمام دونهم بسطة
وحاز السيد المعصوم ... فيهم منهم قسطة

وقال: الإنسان صاحب أنفاس، والله يعطيه أنفاسه في كل لحظة، ومن أعطاه الأنفاس، فقد أعطاه الحياة.

وقال: لا يزال الحق يجدد الأعراض على أجسام العوالم كلها وجواهرها لا بقاء لها، إلاّ بتجدد الأعراض عليها.

وقال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٢٩]، وشؤون الحق، ما هو العالم عليه من الأحوال المختلفة والمتقابلة والمتماثلة.

وقال: غذاء جسم الحيوان أنفاسه، وغذاء الجواهر والأجسام أعراضها، ولما لم يكن للعرض غذاء فني الزمن الفرد الذي يلي زمان وجوده، فقال أهل الكلام: إن العرض لا يبقى زمانين وهو إلهام عجيب من الله، وفقهم له حين ألهمهم الذي هو الأمر، وسبب ذلك الحركات المحسوسة من الأجسام على أي حالة وقعت، من لسان غير لسان، فركبوا من ذلك دليلاً معلوماً، مع حصر عدم ما شاهدوا من ذلك.

وقال: داود وسليمان عليهما السلام، لما حكما في الحرث، نفشت فيه غنم القوم، والنفش الرعي بالليل، فحكم سليمان بشيء في ذلك، وحكم داود بأمر آخر.

وقال الله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ [الأنبيَاء: ٧٩] ومن هنا وأمثاله، أخذنا أن كل مجتهد مصيب، وإن لم يكن نصاً في الباب إلاّ أنه يستروح منه ما ذكرنا.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن صابر بن عبد المانع

قال: أيوب مدحه الله بالصبر، وشهد له به وحده، صابراً. مع قوله لربه: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبيَاء: ٨٣] فعلمنا من ذلك، أن حد الصبر: ألا يشكو المبتلى إلى غير الله، فيقدح في صبره، وعلمنا أن الله لا يريد شرعاً من عباده إذا ابتلاهم، أنهم لا يلجأون في رفع ما نزل بهم إلاّ إلى الله عزّ وجل، فإن الوقوف مع العبودية والفقر أولى بالعبد من مقاومة القهر الإلهي. جاع بعض رجال الله فبكى، فقيل له في ذلك. فقال: إنما جوعني لأبكي.

وقال: الصبر للعارف بالله عن البلاء سوء أدب مع الله، وإن قاومته به فهو أتمّ الصبر، فاجهد ألا تكون محلاً لسوء أدب. إذ الأدباء هم الذين عصمهم الله من جريان ألسنة الذنوب عليهم، فكيف أن يكونوا محلاً لوقوع الذنوب منهم.

وقال: عطاؤه في منعه، فما منع سبحانه أحداً من وجه، إلاَّ أعطاه في ذلك المنع من وجه آخر. لأنه مجبول على الحاجة ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هُود: ١١٩].

وقال: الممكن محتاج بالذات. ألا تراه يفتقر إلى المرجح؟.

وقال: الرشد الهدى إلى الصواب فيما تحاوله، وكل رشيد فهو مهدي يدعو إلى هدى، وهو الذي يدعو إلى الله على بصيرة، كما أخبر الله، وأمر بقول ذلك، والإخبار عنه.

وقال: قال موسى للخضر عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].. فقال خضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] وكذلك وقع. فإن الغيرة تغلب على الرسل في الله إذا رأوا انتهاك حرمة الحق، ويغيبون عن كل ما سوى الله، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٨] فعلوم الأذواق يقل العثور عليها، والتصديق بها لعزتها وعلو مكانتها، وهي علوم الأنبياء عليهم السلام، ومن اعتنى الله به من الأولياء.

وقال: ثم طائفة إذا رأوا سبيل الرشد اتخذوه سبيلاً إلى الله تعالى، ليعرفهم بمصالحهم ما داموا في دار التكليف، فإذا انقلبوا إلى محل لا تكليف فيه زال الطريق، وكانوا سكان الدار الحيوان. فأفلحوا.

وقال: ليس العجب إلاَّ من قول الله عزّ وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩] مع قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] وإن كان المراد هنا أمثالكم. فقال رسول الله ﷺ: «لا أزكي على الله أحداً» فقيل: بقوله على الله، وهو الأدب، فسد باب العلم، ولم يسد باب الظن. فقال: «بل قل: أحسبه كذا وأظنه كذا. والله حسيبه» والتزكية في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: ١] بالأعمال. والنهي عن التزكية في الأحكام على الله. مع علمنا أن في عباد الله من هو زكي عند الله، من غير تعيين، وقد عينه الله، مثل الأنبياء عليهم السلام ومن سواهم فأمرهم في المشيئة. ومن هو في المشيئة فهو في عمى وأمره إلى الله.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن موسى بن عبد الصبور

قال: لما أخبرنا الله تعالى في كتابه، أنه تعالى يؤذى، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ذكر لنا، أن من أسمائه الصبور، من كونه لم يعاقبهم مع اقتداره على أخذهم. فهو سبحانه يمهل ويحكم، ولا يهمل، ولا يعجل بالعقوبة، لعلمه أنه لا يفوته.

وقال: الصبر حبس النفس عن الشكوى إلى الناس، لا إلى الله، ومن كثر منه ذلك، فهو صبور وصبّار.

وقال: الصبر على النعم أعظم من الصبر على البلاء. فإن في النعم تكليفاً، فلذلك أضيف الصبر إليه، وإنما النعم للشكر. هذا عند العاقل ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال:

من عامل الله ما تعنى ... وجاءه منه ما تمنى
فإن جنى العبد في أُمور ... فإنه عنه ما تجنى
يقول من قوله دليل ... من غش ذاك ليس منا
ما قال ذاك الذي ذكرنا ... إلاّ الذي قال ذاك عنا
فإن دعانا إليه حيناً ... وإن دعوناه وافتقرنا
إليه فالكل في يديه ... وعنه والله ما برحنا
سبحانه جل من مليك ... يملكنا بالذي أردنا
فإن قضي ذاك فهو سؤلي ... وإن رأى ذلك ما اعترضنا
بالله يا إخوتي تعالوا ... نطلب منه الذي أمرنا
في طلبي منه عين ذلي ... وعين فقري فما انفصلنا
وما اتصلنا به ولكن ... من لم يجب أمره تعنى

وقال: من علم حقيقته لم يصبر، وسارع بالدعاء إلى الله في كشف الضر الذي مسه عنه، فذاك حال العلماء بالله وبأنفسهم، فمن عامل الله بما تعطيه حقيقة العبودية، فقد وفى الأدب حقه.

وقال: من تحقق عجزه، سخر من ليس بعاجز في حقه، ليقوم بمصالحه سوى الله فإن الله لا يكون مسخراً لعباده، بل هو سبحانه المسخر له من شاء من خلقه، وقد جاء من ذلك في القرآن آيات كثيرة معلومة عند من يقرأ القرآن. أنشد بعضهم:

قد حييتكم مستسلماً آمناً ... لا تقتلوني قد رميت السلاح

وقال: من أسلم وجهه إلى الله فقد سلم من الأخذ والبطش، فإن أحسن مع إسلامه، فقد استمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها، وكان الله سميعاً دعاءه، عليماً بحاله، وليس إلاً حالة اضطراره، فمن وفق لم يزل مضطراً ومن اضطر دعا، ومن دعا اضطراراً أخلص، ومن أخلص في دعائه أجيب. فعلق الأمور بعضها ببعض.

والله إني عالم بالذي ... يطلبه مني بما قد شرع
لكنني أجهل توفيقه ... إياي فالعلم به ما نفع
ما كنت إلاً هالكاً خاسراً ... وإنما الرحمٰن عني دفع
عناية منه بنا إنه ... يلطف وقتاً بالذي قد سمع

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الله بن عبد المصون

قال: الصور من المخلوق متخيلة، ومن الحق معلومة له غير متخيلة، وبعد هذا فإن الأمر في هذا بحسب الصورة التي يقع فيها التجلي لهذا العبد، فإن كانت الصورة من الصور التي تقتضي التخيل، نسب إليها التخيل، ووصفت به، فيكون محلاً لما تجلى. وهذا محال. وإن كانت الصورة لا تقتضي التخيل كما يحسبها، فالأمر بحسب ما يقع فيه التجلي، ولولا اتساع الخيال في الحضرة ما أدخل الحق نفسه فيها.

قد أعبد الله كأني أراه ... وهو الذي أعبده في الخيال
وهو عليه تنزيهه ثابت ... مقدس معظم ذو جلال
وهو جميل فإذا ما بدا ... أودع ما يشاؤه في الخيال
فما تجلى لي سوى خالقي ... وما أرى في العين إلاً الكمال
لو أنه يكشف عن عيننا ... غطاها لم نر إلاً الظلال

ساجداً وهو بها قائم ... قام من ليس له زوال
جل فما يدركه خلقه ... إلاَّ كما يدركه في المثال
ما يدرك المرء سوى نفسه ... لذاك ما نبرح في الانتقال
من صورة عظمى إلى مثلها ... عن مثل هذا ما لديه انفصال
والله لولا الحق في كوننا ... لما رأيناه بعين المحال
وإنما يصدق عبد أتى ... بواجب أو جائز أو محال
والأمر والشأن كما قاله ... فلم يزل قائله في ضلال
العبد من يعرفه ذو الجلال ... ما هو من يعرفه ذو دلال
الشخص لا يعرف إلاَّ إذا ... يشرع من دنياه في الارتحال

وقال: يتجلى فينكر، فيذكر العلامة فيتعرف بها، فيتجلى لهم فيها، فيدخل قيد الصورة. ليقع الإقرار منهم بربوبيته، فإنهم ما اعتقدوا فيه إلاَّ ذاك. والحق ليس كمثله شيء. فما ذاك إلاَّ راجع إلى اعتقادهم خاصة. والأمر باق على أشكاله.

فليت شعري ما الذي نبصره ... وليت شعري ما الذي ندركه
إن كان حقاً ذاك مطلوبنا ... أو غير حق فأنا أتركه
فالملك لا يثبت إلاَّ لمن ... قام به فهو الذي يملكه

وقال: من صورك فقد حكمك، ومن حكمك فقد استولى عليك.

وقال: الانتقام ينفع المنتقم منه، ولا سيما الحاكم.

* * *

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن يوشع بن عبد العال المتعالي

قال: لا يكون المتعالي إذا علا، إلاَّ من اتصف بالنزول، وأما العالي، فلا يُقال فيه متعالي، فللحق وجوه كثيرة، لكل وجه اسم إلهي. فمنها ما يعلم، ومنها ما لا يعلم عندنا، فإن الله استأثر به في غيبه.

وقال: ما كل من تعالى تعالى.

وقال: المتعالي يؤذن بكسب العلو، والحق له العلو، والرفعة لنفسه. وكان ينبغي ألا يسمى بالمتعالي، لكنه لما نزل إلى خلقه، وأنزل نفسه منزلة عبده، فقال في الحديث الصحيح: «جعت فلم تطعمني، وظمئت فلم تسقني، ومرضت فلم تعدني»(١).

ثم فسر فقال وقد قيل له: كيف تطعم وأنت رب العالمين؟ فقال الله له: أما إن فلاناً، وسمى بعض عبيده، جاع فلم تطعمه أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، وقال في المريض: أما إنك لو عدته لوجدتني عنده.

وقال: لولا ما ذكر الحق من هذا وأمثاله عن نفسه، ما جسر واحد من خلقه أن ينسب إليه شيء من ذلك.

وقال: العبد الذي هو الإنسان، خلقه الله في أحسن تقويم، لكونه مجموع العالم لكونه خلق على صورته، ولذلك ظهر بجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا تخلقاً، فلولا ذلك ما قبلتها نشأته وما صح له ذلك، ثم رده إلى أسفل سافلين، يعني عالم الطبيعة، فجعل نشأة ملكه التي هي جسم من حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار، ومن طين، ومن تراب. ذكر الله له أصنافاً حتى لا يتكبر، ولا يرفع رأسه، لأنه معلم الملائكة الأسماء الإلهية التي توجهت على خلق العالم.

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، حديث رقم [٤٣ ـ (٢٥٦٩)] ونص الحديث هو: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزّ وجل يقول يوم القيامة يا بن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

ومنهم رضي الله عنهم:

عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الدهر

قال: «لا تسبُّوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[١]، عصم الدهر عن السب بالاشتراك في التسمية.

وقال: لا يسب الدهر بذاته، وإنما يسب لكونه ما ساعد العباد في خلق ما لهم في خلقه غرض. فلو وافق أغراضهم شكروه، والأفعال الكائنة في الدهر الزمان، الله هو الذي كونها فيه. فلذلك قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا الدهر، فإن الله هو الدهر» موجد الأفعال.

وقال: يأتي الدهر، ويراد به التأييد، يُقال: لا أفعل ذلك دهر الداهرين، وأبد الآبدين، وإن كانت إشارة إلى عدم انقطاع المدة، أي لا تنقطع، فإن حد الزمان وهو الدهر مقارنة حادث لحادث، يسأل عنه حتى يُقال: متى جاء زيد؟ قالوا: عند طلوع الشمس، متى طلعت الشمس؟ قالوا: عند مجيء زيد، فكل واحد منهما وقت لصاحبه.

تمّ الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه

والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة المجادلة، حديث رقم (٤٨٢٨) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، حديث رقم [٢ ـ (٢٢٤٦)]. ورواه غيرهما.

العبادلة





هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
فاكس: ٨٠٤٨١٣ (٥ ٩٦١+)
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com



طبع في مطابع دار الكتب العلمية